العرب قادمون

المغامرون الستة
و
سر عصابة المجوهرات

تأليف
محمد فتحى صبرى

رسوم
وسام سيد عمر

كان الامتحان العملي في كلية الصيدلة العربية هذه المرة في غاية الصعوبة، وبالرغم من ذلك، فقد كانت المنافسة بين طلبة الكلية على أشدها؛ حيث لم يوجد بينهم طالب أو طالبة إلا وكان يسعى إلى الحصول على مركز متقدم. وكانت المنافسة قد اشتدت بصفة خاصة في مجال اكتشاف الأدوية الحديثة والمركَّبة من الأعشاب الطبيعية.

وبالرغم من هذه المنافسة، فقد كانت الأنظار كلها تتجه إلى ثلاثة طلاب كان يُتوقع حصولهم على المراكز الأولى. وكان على رأس هؤلاء الثلاثة حمدي فاضل، والطالب الموريتاني بهي ولد مطاوع، أما المركز الثالث فكان محجوزًا للطالبة هادية بن حمدين!

وقد قام حمدي بانتزاع آهات إعجاب الجميع، عندما استطاع استخلاص المادة الفعالة من القرفة، وأثبت فعاليتها في ضبط سكر الدم، إلى جانب فوائدها في تنظيم

الدورة الدموية. وقد كانت الطريقة التي تم بها تحقيق ذلك في غاية البراعة، حيث جعلت جميع أساتذة الكلية يطلقون آهات الإعجاب لها. أما هادية، فقد قامت بإثبات فعالية الزنجبيل في الحيلولة دون تليف الكبد، وقد ظهر ذلك على الحيوان الذي استطاعت هادية إصابته بتليف الكبد، ثم قامت بعلاجه بجرعات من المادة المستخلصة من الزنجبيل، فتوقف تليف كبده إلى درجة كبيرة. وقد وضح ذلك في جميع صور الأشعة، قبل وبعد إعطاء الدواء للحيوان، بينما قام بهي ولد مطاوع بإثبات فعالية الثوم في تخفيف ضغط الدم.

جاء الامتحان التحريري، وعرف الجميع أن حمدي قد أبدع في إجاباته، فبات من المنتظر أنه- وكعادته- سوف يحصل على المركز الأول بلا منافسة، وظل الطلبة ينتظرون ظهور النتيجة وهم على أحر من الجمر لأسبوعين متواصلين، حتى ظهرت أخيرًا. حصل بهي ولد مطاوع على المركز الثاني، أما هادية فحصلت على

المركز الثالث، ولكن كانت المفاجأة التي لم يتوقعها أحد أبدًا، هي عدم ظهور اسم حمدي فاضل ضمن كشف الناجحين، فأصيب جميع طلبة الكلية بذهول شديد!!

***

حادث السرقة

كانت المفاجأة مذهلة بالنسبة لحمدي، وقد ظل على حالة الذهول لمدة طويلة، بينما أسرع طلال وهادية إلى مكتب عميد الكلية، فلما أخبرتهما سكرتيرة مكتبه بأنه غير موجود، أسرعوا للقاء وكيل الكلية، والمسئول عن الكنترول، ولكنهما فوجئا بأن العميد والوكيل ورئيس القسم المسئول عن بحوث الأدوية قد سافروا جميعًا لحضور مؤتمر بفرنسا لمدة ثلاثة أيام. ظل حمدي والأصدقاء في حالة من الدهشة والقلق الشديدين، بيد أنه في اليوم الرابع، فوجئ الأصدقاء بعامل المكتب يقبل فجأة، ويبلغ حمدي بأن العميد على التليفون الموجود بمكتب سكرتيرته، فأسرع حمدي إلى مكتب السكرتيرة ليتحدث إلى العميد.

بادر العميد قائلاً:

مبروك يا حمدي، لقد جاء ترتيبك الأول على الدفعة.

كاد حمدي يطير من شدة الفرحة، ولكنه ابتلع أنفاسه المتلاحقة من فرط وقع الخبر، وعاد إلى صوابه، وسأل العميد في لهفة:

ولكن يا أفندم، لماذا تأخرتم في إخباري بالنتيجة أنا بالذات؟!

ففوجئ بالعميد يجيبه قائلاً:

لأن أسلوب إجراء التجربة الجديد الذي قمت به لإثبات العلاقة بين نبات القرفة ومرض السكر، كان بحثًا عالميًّا؛ لذا فضلنا قبل ظهور النتيجة تقديمه في المؤتمر الخاص بالأدوية المنعقد بفرنسا، فاعتبروه إضافة علمية جديدة، ولذلك أجمعنا على منحك المركز الأول على الدفعة.

احتفل الأصدقاء الستة أخيرًا بنجاحهم، والذي كان قد تأجل حتى تظهر نتيجة حمدي. كان الاحتفال في هذه المرة في شقة حمدي بمدينة القاهرة، حيث صمم والده

على إقامة وليمة كبيرة، دعا إليها عددًا كبيرًا من طلبة الكلية الذين لم يغادروا مصر إلى بلادهم.

علقت لمياء قائلة وهي تشعر بمزيج من الحزن والسعادة في آنٍ واحد:

لا تتصوروا! بالرغم من نجاحنا هذا، ووصولنا إلى السنة النهائية، لكنني أشعر أننا أوشكنا جميعًا على الفراق، فكل منَّا سيذهب إلى بلده ليعمل هناك.

فقال وليد مداعبًا:

أما حمدي وهادية فهما اللذان لن يفترقا، فلقد فاز كل منهما بالآخر، فعلى الأقل عندما نلتقي مرة أخرى، لا نلتقي إلا في منزلهما بعد الزواج.

عنَّ لطلال شيء ما، فقال فجأة:

ما دمنا لا نريد أن نفترق، فلماذا لا نقوم بإنشاء شركة تجمعنا معًا؟

صاح حمدي مهللاً في حماسة:

أنا موافق.

فقالت هادية في حماس:

لماذا لا نقوم بتأسيس شركة توكيلات للأدوية المكونة من الأعشاب بدون كيماويات؛ فهي الوحيدة التي يمكن أن تجمعنا معًا، وتناسب طبيعتنا تمامًا؟

فهلّل الجميع للفكرة التي راقت لكل منهما، وواصلوا تناول الشراب، وقد شعروا بفرحة النجاح وعدم الفراق إلى الأبد.

وكان الحاج فاضل- والد حمدي- قد تأخر عن الحضور، فقامت والدة حمدي بمحاولات عديدة للاتصال به، ولكن تليفونه المحمول كان مغلقًا في كل مرة؛ فأصاب ذلك حمدي وشقيقته بقلق.

لم يلبث الحاج فاضل أن عاد بعد ساعتين، وبادر مخاطبًا الجميع قائلاً في لهجة أسف، وقد بدت على وجهه أمارات إرهاق شديد:

أنا آسف يا أبنائي على تأخري، فلقد حدث أمر مؤسف في حي الصاغة بالجمالية.

فلما سألته زوجته في لهفة عما حدث، أجاب قائلاً وهو يلتقط أنفاسه التي كانت ما تزال تتلاحق من فرط التعب:

لقد سطت عصابة قُبيل فجر ليلة الأمس على محلات المجوهرات الموجودة بحي الصاغة، وقامت بسرقة معظم الذهب الموجود بها، والذي تقدر قيمته بثلاثمائة مليون جنيه على الأقل!

صرخت ابنته صرخة لم تستطع مداراتها، وقالت:

غير معقول!

أومأ الحاج برأسه وقال مؤكدًا:

نعم، ولذلك عشنا جميعًا عدة ساعات وكأننا من فرط الحزن في مأتم.

تدخلت زوجته قائلة:

وهل انتهى الأمر وتم القبض على أفراد العصابة؟

هز الحاج رأسه نافيًا وقال:

لا، لم يتم القبض إلا على رجل واحد تدل لهجته على أنه عربي الجنسية.

علَّق طالب يمني الجنسية قائلاً:

الحمد لله أنه تم القبض على أحد أفراد العصابة؛ فمن المحتَّم أنه سيدل الشرطة على بقية شركائه.

واصل الجميع احتفالهم، وتناولوا الحلوى بعد وجبة الغذاء في شهية تامة. وبعد مدة قصيرة، قام الطالب اليمني بالاستئذان ليلحق بالطائرة المسافرة إلى صنعاء، بينما ظل الأصدقاء الخمسة مع حمدي ليواصلوا الاحتفال.

ما كاد الأصدقاء يتجاذبون أطراف الحديث، حتى تناهى إلى آذانهم صوت طَرْق شديد متواصل على باب الشقة، فأسرعت شقيقة حمدي إلى الباب، وما كادت

تفتحه، حتى فوجئ الجميع بضابط شرطة يقتحم المكان، ومن خلفه ظهر ثلاثة من رجال الشرطة.

جعل الضابط ينظر حوله في ارتياب، وبادر قائلاً وهو يتفحَّص في وجوه الجميع:

هل يوجد هنا شاب قطري الجنسية يُدعى وليد بن فهدان؟

فأجابه وليد وهو ينظر إليه في ذهول شديد:

نعم، إنه أنا!

وعلى الفور، تقدم منه الضابط، وقال بلهجة آمرة:

تعال معي؛ فأنت مطلوب لمقابلة رئيس مباحث الجمالية! تدخل الحاج فاضل، وسأل الضابط وهو لا يصدق:

لماذا يا أفندم؟ ماذا حدث؟!

توقف الضابط لثوان، وجعل يفتش في وجوه الجميع،

ثم قال بلهجة حادة.

لقد تم القبض على زوج شقيقته؛ لأنه واحد من العصابة التي قامت بالسطو على محلات الصاغة.

فنظر الجميع إلى بعضهم البعض في ذهول!!

***

أسرع الأصدقاء جميعًا ليلحقوا بسيارة الشرطة التي ركبها وليد مع الضابط ومعاونيه، وقاموا بركوب سيارة حمدي الذي قادها خلف سيارة الشرطة، حتى وصلت إلى مركز شرطة الجمالية، وهناك عرفوا من رئيس المباحث أنه بعد قيام العصابة بالسطو على محلات الصاغة في منتصف الليل، إذا بمكالمة من مجهول تصل إلى مركز شرطة الجمالية، يبلغ صاحبها الضابط النوباتشجي ليلاً، بأن أفراد العصابة التي سطت على الصاغة سيتجمعون في مقهى صغير بأحد شوارع حي باب الشعرية، وذلك في تمام الساعة الرابعة قبيل الفجر؛ ليقوموا بجرد المسروقات، وقد حدد صاحب البلاغ عنوان المقهى بالضبط.

وعلى الفور، قام مركز الشرطة بإرسال سيارتين محمّلتين بقوة كبيرة من رجال شرطة المركز، وما كادت سياراتا الشرطة تصلا إلى الشارع الذي يوجد به

المقهى، حتى تناهى إلى العصابة صوت "سارينة" سيارتي الشرطة؛ فقاموا على الفور بإطلاق النيران على السيارتين، مما أدّى إلى حدوث حالة من عدم التوازن بين أفراد العصابة هذا الموقف، فسارعوا بالفرار من المكان. ولم يتبقَّ منهم إلا رجل واحد في منتصف الأربعينات، لم يستطع الفرار أمام الشرطة، فظل في مكانه وهو في حالة من الاستسلام. ولما قام رجال الشرطة بالقبض عليه، سأله رئيس المباحث عن اسمه وهويته، فأجاب بأنه قطري الجنسية، وأنه كان يسير بالصدفة في حي باب الشعرية، فلم يجد أمامه إلا هذا المقهى المفتوح، فجلس ليرتاح قليلاً، ويتحدث مع الناس، فقد كان في حاجة إلى الحديث مع أي إنسان. وخلال استجوابه، أشار الرجل إلى وجود شقيق زوجته في مصر، ويُدعى وليد بن فهدان، وأنه يدرس في كلية الصيدلة العربية. وعلى الفور اتصلت الشرطة بإدارة الكلية، التي أبلغتهم عن وجود وليد في شقة زميل له يُدعى حمدي فاضل، وأخطرتهم بعنوانه في القاهرة.



لقد تمكن أفراد العصابة من الهرب

كان عدنان خاشقجي- زوج شقيقة وليد- يبدو في منتصف الأربعينات من العمر، وكان يقف في حالة من الذهول والدهشة؛ فما أن شاهد وليدًا، حتى أقبل عليه وعانقه في شغف.

كان الحاج فاضل قد اتصل بمحاميه من تليفونه المحمول، فحضر إلى مكتب رئيس المباحث. وكان أول شيء قام به المحامي هو الإطلاع على المحضر، وألح على رئيس المباحث في أن يصور المحضر ليقوم بقراءته بإمعان.

كان الجميع في حالة من الدهشة والحيرة، ولم يستطع وليد أن يتمالك أعصابه، فراح في نوبة من البكاء، وقال بين شهقاته:

لا يمكن أن يقوم الأستاذ خاشقجى بهذه الفعلة الشنعاء!

ولكن سرعان ما أقبلت مجموعة من رجال الشرطة،

ودخلوا مكتب رئيس المباحث، وفي أعقابهم وصلت مجموعة من رجال الصحافة؛ فاستحال مكتب رئيس المباحث إلى حالة من الزحام الشديد. كان الجميع ينظر إلى خاشجقي في استطلاع هائل، فالكل يعتقد أنه أحد أفراد العصابة، وبالقطع فإن تماثله أمام النيابة للتحقيق، سيسفر عنه الوصول إلى أخطر عصابة قامت بسرقة مئات الملايين من الجنيهات؛ مما اضطر رجال المباحث إلى الإحاطة بالمتهم، وترحيله على الفور إلى النيابة.

علق المحامي قائلاً في أسًى وهو يتابع بعينيه خاشقجي المستسلم تمامًا إلى رجال الشرطة وهم يأخذونه خارج مركز الشرطة:

إن موقف خاشقجي في غاية السوء!

فسأله وليد في حرج:

لماذا؟

أجاب المحامي في قلق وهو ينظر في صورة

المحضر:

لقد ثبت في المحضر أنه جاء إلى مصر خمس مرات خلال ستة أشهر فقط، وهو لم يأتِ في مأمورية خاصة بالعمل، ولا لمجرد السياحة.

فالتفت الجميع إلى وليد الذي لم يتفوه بكلمة، وواصل المحامي حديثه قائلاً في حيرة:

والأمر الذي ضاعف من حيرتي، أن خاشقجي هذا في السادسة والأربعين من عمره، ورغم ذلك قال رئيس المباحث أنه ليس له وظيفة في بلده، وقد ثبت ذلك في المحضر، وقام خاشقجي بالتوقيع عليه.

قال وليد مؤكدًا:

فعلاً؛ لأن خاشقجي زوج شقيقتي لا يحب التقيد بأي وظيفة، فقد ورث عن والده ورثًا كبيرًا، ولكن معظم رصيده ضاع؛ لأنه قام بعدة مشاريع لم يصادف النجاح أيًّا منها.

فسأله المحامي في دهشة:

ولكن لماذا حضر خاشقجي إلى مصر خمس مرات في بضعة أشهر؟

هز وليد رأسه وقال في حيرة:

هذا هو اللغز الذي يحيرني.

وفي اليوم التالي، رافق الأصدقاء الستة المحامي عند الذهاب إلى مكتب وكيل النيابة لمقابلة خاشقجي، فوجدوه في حالة يُرْثى لها، وقد وضح أنه لم يتناول طعامًا أو شرابًا طوال اليوم السابق؛ ولذلك تركوه لدقائق تناول خلالها بعض الساندويتشات التي أحضرها له وليد، حيث كان يلتهمها في لهفة شديدة. وبعد أن فرغ من تناولها، بادره المحامي وهو يسأله في عجلة من الأمر:

كيف تم القبض عليك؟

قال خاشقجي:

إنني كنت بالفعل موجودًا في هذا المقهى، حيث كان

الوقت عند منتصف الليل، وقد كان هو المقهى الوحيد الذي لم يكن مغلقًا، ولم أكن مُتْعبًا فقط، بل إنني كنت مضطرًّا إلى إجراء حوار مع أي فرد، حيث إنني شغوف بمعرفة كل التفاصيل الصغيرة عن كل شيء؛ لأنها تفيدني جدًّا في دراستي، وتنعكس على كافة المشاريع التي أفكر فيها.

فسأله المحامي في حيرة:

وهل قلت لوكيل النيابة عن سبب وجودك هذا؟

فهز رأسه، وأردف مؤكدًا:

نعم.

كان الوقت المسموح به للمحامي لزيارة المتهم قد انتهى؛ فاضطر الجميع إلى مغادرة المكان.

وبعد أن عاد الجميع إلى شقة حمدي، قال المحامي في أسًى:

للأسف! لقد قرأت المحضر الخاص بأقوال خاشقجي

أمام النيابة، فوجدت أن الأمور كلها ليست في صالحه.

فسأله الحاج فاضل في حيرة ولهفة:

لماذا؟

أجاب المحامي في ضيق:

لأن ما قاله غير منطقي ويدعو إلى الشك؛ فلا يتصور أحد أبدًا أن رجلاً في منتصف الأربعينات من عمره، ويكون بهذه السذاجة.

وتوقف المحامي برهة، وعاود حديثه قائلاً، وقد تضاعفت حدة غضبه:

إن إجاباته كلها تفيد بأنه جاء إلى مصر خمس مرات متتالية في بضعة أشهر فقط ليدرس خصائص شعبها، مع أن دراسة الشعوب تقتضي دائمًا فريق عمل بأكمله.

فسأله حمدي في لهفة وحيرة:

وما هو الحل؟

لم يجب المحامي على الفور، بل جعل يفكر لمدة طويلة، ثم قال مؤكدًا:

لا يوجد إلا حل واحد.

فسأله وليد في لهفة:

وما هو؟

فأجاب المحامي:

أن يتم القبض على العصابة، ليعترفوا بأنهم ليس لهم علاقة بخاشقجي.

فصاح وليد في جزع وهو لا يصدق:

إن معنى ذلك أن شقيقتي وأولادها سيضيعون؛ فسيظل زوجها في السجن مدة طويلة.. إنها كارثة!!

***

اجتمع الأصدقاء الستة مرة أخرى في شقة حمدي، وقد غلبت عليهم الحيرة، بينما كان وليد في حالة من الحزن الشديد، وغمغم في أسًى مشوب بالحيرة:

وكيف أخبر شقيقتي بهذه الكارثة؟!

شعر الخطيبان حمدي وهادية أنهما لن يلتقيا أبدًا في ظل هذه الظروف، وقبل أن يجدا حلاً لمشكلة صديقهما وليد الذي كان في حالة شديدة من الحزن والقلق، حيث كان يتركهم جميعًا كل يوم ويذهب إلى النيابة برفقة المحامي لمقابلة خاشقجي، ولكنه كان يعود آخر اليوم وقد تضاعف يأسه؛ فالنيابة قد ارتابت في أمر خاشقجي، فطلبت من رجال المباحث المصرية القيام بعمل التحريات عنه في بلده قطر.

وبعد أسبوع عاد المحامي من النيابة، بعد أن ترك وليدًا مع قريبه، وبادر الجميع قائلاً:

للأسف! إن موقف خاشقجي في منتهي الحرج؛ فلقد ظهر من تحريات المباحث أنه قد تم القبض عليه في السعودية بتهمة محاولة النصب على مجموعة من رجال الأعمال السعوديين، حيث قدموا ضده بلاغًا للسلطات السعودية بأنه قدم إليهم مشروعًا وهميًا، وعلى إثره رحّلته السلطات السعودية إلى بلده. والأغرب من ذلك أنه تم القبض عليه في الجزائر؛ حيث ضبطوه موجودًا أكثر من مرة في مكان تواجد مجموعة إرهابية، ولما ظهر للسلطات الجزائرية أنه أجنبي، ولم تثبت عليه تهمة الانتماء إلى إحدى هذه الجماعات، اكتفوا بطرده خارج البلاد، ووضعوا اسمه بقائمة المحظور دخولهم إلى الجزائر!

فعلقت لمياء- رغمًا عنها- قائلة:

يا خبر! إن كل هذه القرائن التي حصل عليها رجال المباحث، تدل على أن له يدًا في سرقة محال الصاغة!!

سأل طلال المحامي قائلاً.

وهل علم وليد بهذه التحريات؟

فلما أجاب المحامي بالنفي، قال طلال:

أرى أن نبلغ وليدًا بهذا الأمر؛ ليعرف حقيقة زوج شقيقة هذا، فهو بذلك خطر على زوجته وأولاده.

عقبت لمياء مؤكدة:

فعلاً؛ لأننا لو لم نخطر وليدًا بذلك الأمر، فسيظل مخدوعًا في زوج شقيقته، ويعتقد براءته، وأنه كان موجودًا مع العصابة بمجرد الصدفة، ولكن هل توجد صدفة في مصر والسعودية والجزائر معًا؟!

رأى الجميع أن مصارحة وليد هي الحل؛ لإنه سيحزن قليلاً إذا علم ذلك، وهذا أفضل كثيرًا من أن يظل مخدوعًا في زوج شقيقته إلى الأبد.

ولم يلبث وليد أن عاد بعد ساعتين، وتناول غداءه مع الجميع، بيد أنه ما كاد المحامي يشرع في مصارحة وليد بالحقيقة، حتى فوجيء الجميع بخاشقجي يدخل عليهم،

ويقف بينهم، وقد علت وجهه ابتسامة واسعة،

فنظر الجميع إليه وهم لا يصدقون؟!

***

وقف الجميع ينظرون إلى خاشقجي وهم في حالة من الذهول، ولم يستطع جاسر إخفاء الدهشة التي اعترته، فسأل خاشقجي في لهفة:

يا الله! كيف استطعت أن تهرب من أجهزة الشرطة والنيابة؟!

فأجاب خاشقجي، وقد أفتر ثغره عن ابتسامة واسعة:

لم أهرب، إنما أُفرج عني لعدم كفاية الأدلة!

مالت لمياء نحو هادية، وهمست قائلة وهي لا تصدق ما يقوله:

هل يُعقل هذا؟! وجوده في منتصف الليل مع العصابة في المقهى الذي لم يكن به سوى أفرادها، ودخوله مصر خمس مرات ليس للعمل أو للسياحة، وبدون أسباب، خلاف القبض عليه في أكثر من دولة عربية.. كل ذلك والنيابة تفرج عنه لعدم كفاية الأدلة!!

هزّت هادية كتفيها وقالت مؤكدة:

فعلاً، إن الأمر يدعو إلى الشك والحيرة!

كان الحاج فاضل يتابع الموقف وهو في دهشة من الأمر، ولكنه وجد أن عليه أن يكرم ضيفه مهما كانت الأسباب، فنادى على ابنته، وطلب منها أن تجهز طعامًا لخاشقجي.

راح خاشقجي يتناول الطعام في شهية عالية، فقد كان واضحًا عليه أنه لم يتناول طعامًا شهيًّا منذ مدة طويلة. وبعد أن تناول الشاي، بادر بتوجيه حديثه إلى الجميع قائلاً:

كم آلمني أن تقبض عليَّ الشرطة وأنا أقوم بمهمة أكثر من وطنية!

فسألته لمياء في سخرية:

مهمة أكثر من وطنية! هل كنت موجودًا في المقهى لكي تقبض على العصابة قبل وصول رجال الشرطة؟

فأجاب خاشقجي قائلاً:

لا، بل لم أكن أعرف أن هذه عصابة، وقد لا يصدقني أحد منكم أبدًا، كما لم يصدقني رجال المباحث في مصر. إنني لا أعرف شيئًا عن هؤلاء الرجال، والحقيقة أنني أقوم بدراسة علمية تتطلب مني القيام بعمل بحوث عن الرأي العام، ولذلك فإنني أقوم بإقحام نفسي بين الناس، وخاصة عامة الشعب؛ لمعرفة آراء الناس الحقيقية إزاء العديد من القضايا.

توقف خاشقجي، ومد يده ليتناول كوب الشاي، وبعد أن احتسى منه حسوة عاود حديثه قائلاً:

لا يتصور أحد منكم كم أبذل من جهد خارق؛ حيث إن هذه الأمور تتطلب وجود فريق عمل بأكمله.

سأله الحاج فاضل في دهشة:

يا الله! ولكن لماذا تقوم بهذه الدراسة؟

فتعلقت أنظار الجميع بخاشقجي، وكان الكل يريد أن

يعرف فعلاً سر هذه الدراسة، فأجاب الرجل بهدوء، وهو يُجيل النظر في وجوه الجميع:

إنني في الأساس كنت أدرس علم الأنثربولوجيا، وقد استهواني هذا العلم إلى درجة كبيرة؛ لأنه يهتم بدراسة الأجناس البشرية من نواحي عديدة، كنشأة وتطور الإنسان، والثقافات السائدة وأصولها. وهو يدرس الإنسان من أهم ناحية، وهي كينونته الثقافية؛ فالإنسان إذا حللناه نجد أن خمسة وتسعين في المائة منه ثقافة، أما الخمسة في المائة فهي غرائز واستعدادات خاصة.

تساءلت هادية في حيرة ودهشة:

غير معقول! هل ثقافة الإنسان مهمة إلى هذه الدرجة!

فتدخل جاسر متسائلاً وهو لا يصدق ما سمع:

ولكن، هل يمكن لفرد أُمّي يعيش في دولة نامية أن تكون ثقافته خمسة وتسعين في المائة من تكوينه، مثله

مثل أحد العلماء الكبار الذين يعيشون في دولة متقدمة؟!

لفت هذا السؤال أنظار الجميع، وتطلعوا في شغف إلى إجابة خاشقجي، فقال بلهجة يشرح بها وجهة نظره في هدوءٍ تام:

ليس المقصود بالثقافة كمية المعلومات والمعارف والخبرات التي لدى الإنسان، إنما المقصود بها عدة أشياء معًا؛ سلوك الفرد، وعاداته، وتقاليده، وخبراته الحياتية، والعقائد والمفاهيم والقيم السائدة في مجتمعه، والتي يتأثر بها حكمه على كافة أمور حياته؛ ولذلك يقول علماء النفس: إن العالَم هو ما يراه الفرد.

قال حمدي وهو مأخوذ بما سمعه:

يا له من تصور! وهل معنى ذلك أنهم انتهوا إلى أن كل فرد له عالمه الخاص؟

أجاب خاشقجي مؤكدًا:

نعم، ولكن الفرد له ثقافته التي يشارك فيها مجتمعه،

وهي الثقافة التي يكتسبها بحكم أنه فرد في مجتمعه، فالمواطن الصيني له ثقافته، والعربي له ثقافته، والأوربي له ثقافته. كما أن الفرد يشارك مجموعة خاصة في ثقافتهم، فلو كان طبيبًا مثلا، فإنه يشارك مجموعة الأطباء في ثقافة خاصة بهم، تعكس رؤيتهم إزاء أمور خاصة بالمرض وعلاجه.

وأخيرًا فإن لكل فرد- بالإضافة إلى ذلك- صفاته الفريدة وثقافته الخاصة التي ينفرد بها، فإذا كان هناك مواطن مصري يعمل طبيبًا، فإنه- بحكم مصريته- يشارك جميع المصريين في ثقافتهم الخاصة الوطنية، وبحكم أنه طبيب يشارك أبناء مهنته في ثقافة المهنة نفسها، ويُضاف إلى ذلك صفاته وثقافته الفريدة. إن هذا الثلاثي يُكوّن ثقافة كل فرد منا!

سأله طلال في حيرة:

إذا كان لكل فرد ثقافته التي تشكل وجوده الخاص، فهل المقصود بذلك أنها غريزته؟

قال خاشقجي معترضًا:

لا.. سأوضح فقط جانبًا من هذا الأمر. إن لدى الإنسان غريزة مثل الحيوان والطيور، وهي غريزة أكل الطعام، ولكن الحيوان يتناول طعامه كما هو على الطبيعة، سواء كان لحمًا أو نباتًا، أما الإنسان فله ثقافته في إشباع هذه الغريزة، فيقوم بطهي طعامه بطرق تختلف باختلاف ثقافة المواطنين من دولة لأخرى، فنجد أن الصيني والياباني يتناولان طعامهما باستخدام العِصِي الرفيعة، بينما الأوروبي والأمريكي يستخدمان الشوك والسكاكين في كل ما يتناولونه من طعام، ونحن هنا نستخدم في الغالب أيدينا في تناولنا لمعظم أكلاتنا، عدا بعض الأكلات مثل الأرز والمكرونة.

توقف خاشقجي برهة، ولما لاحظ أن الجميع يفكرون في الأمر، أردف قائلاً:

انظروا إلى غريزة القتال، إنها موجودة لدى الحيوان بكافة أشكاله، وفي الطيور، وحتى عند الأسماك، ولكن

الحيوانات والطيور والأسماك تقاتل بدون استعمال سلاح أو غيره، فهي تقاتل بالغريزة التي نشأت عليها، فنجد أن الأسد يقاتل بأسلوب يختلف عن بقية الحيوانات، ولكنه لا يختلف في ذلك عن بقية الأسود؛ لأن الغريزة القتالية واحدة لديهم. والثعلب له طرقه القتالية المختلفة عن بقية الحيوانات، ولكنه لا يختلف عن أي ثعلب آخر، وهكذا في جميع الحيوانات؛ وذلك لأن الحيوان ليست له ثقافة مثل الإنسان.

أما الإنسان فثقافته تجعله يطور نفسه دائمًا، فبات لا يستعمل مجرد السلاح اليدوي، بل وصل إلى استعمال السلاح النووي في إشباع غريزته القتالية.

راح الجميع يفكرون في أمر الثقافة، فأردف قائلاً:

كما أنه توجد صفة خاصة بالإنسان انفرد بها عن بقية المخلوقات، وهي خاصة بثقافته نفسها، فالخبرة التي يكتسبها الإنسان، يستطيع نقلها إلى الأجيال التالية، فلا تموت الخبرة بموته، ومن هنا يرتقي الإنسان. أما

الحيوان فهو على خلاف ذلك؛ ولا يتطور؛ لأنه لا يمتلك القدرة على نقل الثقافات مثل الإنسان.

سأله الحاج فاضل في حيرة وضيق شديدين:

ولكن لماذا كل هذا التعب؟! فبماذا ستستفيد من دراسة موضوع الثقافة هذا؟ وما ذنب زوجتك وأولادك؟ هل تفعل ذلك فقط من أجل معرفة ثقافة شعب؟

ثم توقف الحاج فاضل، وأردف قائلاً في غضب شديد:

إنني لا أصدق أبدًا أن يفعل الإنسان ذلك!

فتوقفت أنفاس الأصدقاء جميعًا؛ حيث شعروا أن هناك مشاجرة ستحدث بين الحاج فاضل وخاشقجي!!

***

أنصت الجميع إلى خاشقجي، وتطلعوا في شغف هائل لبحوثه حول الثقافة وإمكانية الاستفادة منها، فأجاب خاشقجي في هدوء مشوب بالحماسة:

نستفيد الكثير.. أنظروا مثلاً إلى غريزة حب الوطن، إنها موجودة في كل شعب من شعوب العالم، ولكنها تختلف حسب ثقافة كل شعب.

سألته لمياء وهي لا تصدق:

حتى غريزة حب الوطن تختلف بين شعب وآخر! كيف يمكن ذلك؟

قال خاشقجي:

على سبيل المثال، نجد أن غريزة حب الوطن لدى شعوب شرق آسيا يعبر عنها المواطن في كل سلوك حياته تقريبًا، فالياباني مثلاً يغلب على سلوكياته حبه لوطنه، فهو في عمله لا يحاول فقط مجرد إنجاز العمل

مقابل عائد مادي، إنما يعمل من أجل رفع شأن وطنه، فيحاول التوصل إلى أعلى وأجود إنتاجية، حتى تكون الصناعة اليابانية هي الأجود، ولذلك نجده يحاول التوصل إلى كل ما هو جديد ومبتكر في الصناعة، ونجد الجميع يعيش في منظومة عمل. فكل مواطن يعرف دوره تمامًا، ولا يتعدى حدود الآخرين من أجل نهضة اليابان.

سأله جاسر في حنق:

يا الله! هل معنى ذلك أن العرب ليست لديهم غريزة حب الوطن؟ وهل كل منا يعمل لقاء حصوله على الأجر، بغض النظر عن العائد على الوطن؟ وهل سلوك كل فرد في الدولة قائم على الفائدة التي ستعود على الآخرين؟

فوجئ الجميع بخاشقجي يقول معترضًا.

لا، إن غريزة حب الوطن موجودة لدى العرب بنفس القوة الموجودة لدى المواطن الياباني، إنما الاختلاف في

نوعية الثقافة.

تساءل وليد في حيرة:

وهل هذا الأمر يحتاج إلى ثقافة؟!

أجاب خاشقجي مؤكدًا:

نعم، فالمواطن من أبناء الدول العربية لديه بعد ثقافي مؤداه أن الحب لا يظهر إلا في الشدائد فقط، ففي حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ قام المواطنون ببطولات نادرة، فقد ضحى العديد منهم بأرواحهم، حيث كانوا يواجهون أعتى سلاح بسلاحهم البسيط، ويتصدون لنيران العدو بصدورهم وأرواحهم من أجل الوطن.

ثم صمت فجأة، وقال في أسًى:

ولكن قد لا تتصورون أنه بعد أن انتهت المعركة، وعندما اطمأن أبطال حرب أكتوبر إلى انتصار دولتهم، انقلب حال العديد منهم، فصاروا وكأنهم مواطنون آخرون تمامًا؛ حيث صار الواحد منهم يتصرف وكأنه

يحارب وطنه نفسه!!

فنظر الجميع إلى بعضهم البعض وهم لا يصدقون!!

***

راح كل الجالسين ينظرون إلى خاشقجي وهم في حيرة شديدة، فلم يصدق أحد منهم ما يسمع، ولكنه قال مؤكدًا:

نعم، إن ما أقوله صحيح تمامًا؛ فلقد تتبعت بحكم دراستي، وبمعاونة بعض الزملاء المصريين، حالة عدد من الذين قاموا ببطولات في حرب أكتوبر، وتصدوا للعدو بأجسادهم، وضحوا بدمائهم، فوجدت أن عددًا منهم الآن يقومون بأعمال لا يقوم بها إلا عدو الوطن نفسه؛ فالبعض منهم يحقق الثراء بواسطة الاتجار بالعملة والتهرب الضريبي!

بدت عن لمياء صرخة وهي تقول:

غير معقول!

وقال الحاج فاضل:

نعم، أنا أعرف العديد من الذين قاموا ببطولات في

حرب أكتوبر، وهم الآن كأنهم ضد الوطن.

سألته هادية في دهشة شديدة:

وبماذا تفسر ذلك؟

ثبّت الجميع عيونهم على خاشقجي وهم في حيرة شديدة، وتوقف لثوانٍ يفكر، ثم قال:

إن دراسة ثقافات الشعوب تجعلنا ننظر من زاويا معينة إلى ما يحدث في دنيا الثقافة، فمثلاً، العربي عمومًا لا يظهر معدنه إلا وقت الشدائد؛ ففي حياته اليومية، قد يكون في صراع حميم مع جاره، والأحداث تغذي دائمًا هذا الصراع، لدرجة أن من لا يعرف الثقافة العربية، يتصور أن هذه عداوة كعداوة الشيطان للإنسان، ولكن إذا حدث لجاره هذا مصيبة، مثل المرض الشديد، أو الوفاة، أو غيره ذلك من الأزمات، تجد أن جاره الذي كان على خصومة شديدة معه، هو أول من يقوم بمواساته، ويعينه بماله وجهده ليتجاوز محنته.

توقف خاشقجي لثوانٍ، ثم هزَّ رأسه وأردف مؤكدًا:

وكذلك الحال مع الوطن، إننا لا نُستثار وطنيًّا إلا إذا واجه هذا الوطن محنة أو أزمة.

قال طلال وكأنما يُحدِّث نفسه:

معنى ذلك أنه إذا شعر المواطن العربي بأن الوطن في حاجة إليه يكون دائمًا في خدمة الوطن، ولا يقل في هذه الخدمة عن الياباني.

فتدخل الحاج فاضل، وقال في ضيق:

ولكن أنتم الذين توصلتم من خلال الدراسة إلى ذلك، ولكن ما قيمة هذه الدراسة ما دامت هي عبارة عن مجرد الوصول إلى حقائق، فما قيمة معرفتنا، طالما لم نصل إلى حلول؟!

فقال خاشقجي معترضًا:

اسمح لي أن أقول لسيادتكم: إن هذا هو مفهومنا الخطأ لطبيعة الدراسة؛ لأن المفروض في الدراسة أن

نعرف منها أين توجد الفجوة في الثقافة؛ كي نقوم بسدها.

ولما وجد الجميع ينظرون إليه في حيرة، أردف قائلا:

فمثلاً، دور العاملين في حقل الثقافة والدراسات الثقافية، هو كيفية نقل الثقافات التي تتميز بها دولة إلى دولة أخري، أي أننا نحول عنصرًا من العناصر الثقافية، والتي تتميز به دول شرق آسيا، إلى ثقافتنا العربية. والعنصر هنا هو غريزة حب الوطن المستدامة، بدلاً من غريزة حب الوطن التي لا تظهر إلا في الشدائد فقط، وهنا يتم إدخالها إلا الخبراء في الثقافة؛ لأنها تدخل من خلال ما يُسمي بمنظومة الثقافة الوطنية.

فقال حمدي:

لو حدث ذلك في الوطن العربي، وأدخلنا غريزةِ حب الوطن المستدامة في حياتنا، لصار كل منّا لا يعمل إلا من أجل وطنه، ولبذل كل منا جهدًا مضاعفًا. إن ذلك

يكون بمثابة ثورة فعلاً!

سادت بين الجميع فترة صمت، راح كل منهم يتأمل فيها حال الوطن. ماذا لو كان كل منَّا يعيش من أجل رِفْعة الوطن في كل سلوك يسلكه في حياته؟ وماذا لو لم تتعارض مصلحته مع مصلحة هذا الوطن؟

علَّق طلال على ذلك قائلاً:

إن هذا يؤدي بنا إلى قفزة مثل القفزة التي قفزتها شعوب شرق آسيا.

ثم سادت فترة من الصمت، لم يلبث أن قطعها خاشقجي قائلاً:

انظروا إلى قيمة نقل عنصر ثقافي مثل هذا فقط إلينا، كيف يؤدي بنا إلى ثورة؟ كما تشغلني أيضًا العناصر الأخرى التي أريد نقلها إلى ثقافتنا، فهناك عنصر في منتهى الأهمية أريد دخوله إلى ثقافتنا.

فسأله وليد في لهفة:

وما هو؟

فأجاب خاشقجي وكأنه يتحدث عن حلم من الأحلام:

الاعتقاد الشديد في قيمة العلم والفكر؟

فقال حمدي وهو لا يصدق:

يا الله! وهل نحن كعرب لا نعرف ذلك؟! لا توجد أسرة في مصر مثلاً إلا وكل همها أن يحصل ولدها على أعلى شهادة علمية، لدرجة أن معظم الأسر المصرية تكون في شبه معسكر طوال السنة من أجل تعليم أبنائهم، بل وتنفق كل أسرة مصرية أكثر من نصف دخلها من أجل تعليم أولادها.

فتدخلت شقيقة حمدي لأول مرة، معقّبة في تأكيد:

فعلاً، وأنا أشاهد بعيني العديد من العمال الذين قد لا يتناولون في طعامهم إلا الخبز فقط؛ حتى يوفروا لأبنائهم ثمنًا للدروس والكتب وكافة المصاريف الدراسية.

فعقبت هادية مؤكدة كلام حمدي:

ولذلك يتخرج في العالم العربي ما لا يقل عن ثلاثة مليون شاب سنويًّا، ورغم ذلك يطمح العرب إلى تخريج المزيد.

فهز خاشقجي رأسه، وقال في ضيق:

هذا هو الفارق بين دراسة الثقافة وعدم دراستها.

سأله جاسر في ضيق وهو لا يصدق:

ماذا تقصد؟

أجاب خاشقجي قائلاً:

أقصد أن مفهومنا للعلم قائم على مجرد الحصول على الشهادة، وهذا المفهوم ناقص تمامًا من الناحية الثقافية.

فلما نظر إليه الجميع متسائلين، أردف موضحًا:

نحن ما نزال ننظر إلى العلم على أنه مجرد التحصيل العلمي؛ ولذلك فإن العلم دائمًا ما يأتينا من الدول المتقدمة التي تصنع المعرفة المنظمة، فتصلنا نحن

لمجرد تحصيلها، كما أنها تترجم المعرفة في شكل نواتج؛ صناعات وخدمات في جميع المجالات، وما علينا نحن سوى الاستهلاك، وأن نشعر بأننا متقدمين لمجرد استهلاكنا للسلع التي أنتجتها الدول المتقدمة!

سادت بين الجميع فترة صمت، راحوا جميعًا يفكرون خلالها في هذا الأمر المؤسف، ثم قطعت هادية الصمت، وسألته في لهفة:

وما هو الحل؟

أجاب خاشقجي:

الحل هو دخول عناصر جديدة تضيف إلى مفهومنا العقيم هذا للعلم مفاهيم أخرى، ومنها أن ننظر إلى العلم لنعرف كيف نوظفه في حياتنا، فلا يتعلم دارس التجارة مجرد الإلمام بنظريات وطرق المعاملات المالية فقط، حيث نجد أن خريج التجارة، شعبة إدارة الأعمال، إذًا أدار محل والده الذي لم يتخرج من الجامعة، وربما لا

يجيد القراءة والكتابة، فإنه يديره بنفس أسلوب والده هذا، وكأن دراسته لا تفيد في شيء!

فقال الحاج فاضل مؤكدًا:

فعلاً، أنا أشاهد ذلك في العديد من المحلات التي يديرها خريجو جامعاتنا بعد آبائهم الذين لم يتلقون علمًا.

فعقّب خاشقجي قائلاً:

والمرأة خريجة كلية التربية، تربي أولادها بنفس الطريقة التي وجدت أمها وجدتها يربيان أولادهم بها، وكأنما لم تدرس الأساليب التربوية في كلية التربية.

فلما نظر الجميع في حيرة، أردف خاشقجي قائلاً:

إن ذلك سببه الخلل الموجود في ثقافتنا، وهو ما يجعلنا ندرك العلم والمعرفة على أنهما مجرد شهادة وتحصيل معلومات لا علاقة لهما بحياتنا بعد التخرج؛ ولذلك ندرس ونحن نضع في الاعتبار توظيف ما ندرسه في حياتنا الاقتصادية أو الاجتماعية.

فقال وليد مؤكدًا:

فعلاً!

فواصل خاشقجي حديثه قائلاً:

انظروا مثلاً إلى حال الفكر لدينا، هل نقوم بدراسته في مدرسة واحدة ضمن أربعين ألف مدرسة في مصر، وضمن مائة ألف مدرسة في الوطن العربي بأجمعه، لا يتعلم الطالب العربي مهارات التفكير المختلفة، بالرغم من أن هناك العديد من أساليب التفكير التي يتعلمها كل طالب بالخارج.

ثم توقف خاشقجي، وأطلق زفرة عميقة، ثم واصل حديثه قائلاً:

انظروا إلى مدى إهمالنا للفكر، فهل يوجد في العالم العربي بأكمله بنك للأفكار، أو مجرد جهة تتلقى الأفكار؟ إن مواطنًا واحدًا يستطيع إفراز العديد من الأفكار الجديدة، ولكن الأفكار عندنا تنبع من أصحاب السلطة.

فسأله الحاج فاضل في دهشة:

ماذا تعني؟

فأجاب خاشقجي:

أعني أن الذي يفكر في مصر هو صاحب سلطة في موقفه، فصاحب المنشأة الفردية هو الوحيد الذي يفكر لمنشأته، ومدير الشركة المساهمة هو الوحيد الذي يفكر فقط لهذه المنشأة، والوزير هو الوحيد الذي يفكر لوزارته، وحتى رئيس مجلس الوزراء هو الوحيد الذي يفكر لمصر بأكملها، مع أن الفكر لا علاقة له بالنفوذ أو السلطة أو المال؛ ولذلك يضيع فكر مئات الآلاف من أبناء الوطن العربي الذين لا يملكون المال ولا هم في موضع السلطة، ولكنهم يملكون القدرة على إفراز الفكر؛ فيفوِّت ذلك على الوطن العربي فكر كل هؤلاء.

قال الحاج فاضل مؤكدًا:

كلامك صحيح يا أستاذ خاشقجي، فلو نظرنا إلى الذين

يعملون بالفكر في مصر مثلاً، لوجدناهم أقل الناس شأنًا ومالاً، فالسيدة أم كلثوم يضع كلاماتها المؤلف، ورغم ذلك نقول إنه قول أم كلثوم، أو قول عبد الوهاب، أو فريد، وغيرهم؛ لأننا نعتبر أن المؤلف والمفكرين في مرتبة متأخرة دائمًا.

فتدخلت والدة حمدي لأول مرة، وقالت مؤكدة:

لك الحق في ذلك يا فاضل؛ فما يجعلني أصرخ من فرط الغضب والضيق، أنني أسمع أن جائزة قدرها خمسين ألف جنيه لبطل فيلم كذا، في حين أن أحد أقاربي حصل على المركز الأول في مصر عن روايته، ورغم ذلك فإن جائزته كان قدرها خمسة آلاف جنيه!

كما أسمع أن أعظم المؤلفين في مصر لا يتجاوز أجره عن روايته ألف جنيه، بالرغم من أنها قد تستغرق منه عامًا بأكمله!

لم تمض إلا بضع دقائق، حتى انصرف خاشقجي وهو

على عجلة من أمره، بينما ظل الأصدقاء والحاج فاضل وزوجته يفكرون في موضوع الثقافة، وقيمتها التي لم تكن على بال أحد.

وفجأة، رن جرس الباب، وما أن ذهبت شقيقة حمدي لتفتح، إذا بهم يشاهدون المحامى يدخل، وقد بادر الجميع قائلاً في قلق شديد، وهو يُجيل النظر حوله:

أين الأستاذ خاشقجي؟

وما أن علم منهم بأنه قد غادر الشقة حتى قال:

لقد جئت لأبلغه أن هناك مجموعة من أفراد المباحث يقفون أمام المنزل يترقبونه.

فسأله حمدي وهو لا يصدق:

يا الله! ألم يتركونه بعدما تأكدوا أنه لا علاقة له بالعصابة؟

ولكنهم فوجئوا بالمحامي يقول:

لا، بل تركوه ليتيحوا له الفرصة للاتصال بالعصابة، فيتم القبض عليه معهم!

فتساءلت لمياء في ذهول:

معنى ذلك..

فقاطعها المحامي قائلاً:

معني ذلك أن النيابة تري أنه أحد أعضاء العصابة!!

***

سادت بين الجميع حيرة شديدة، فقد كانوا جميعًا قبل هذا اللقاء يشكون في أمر خاشقجي، ولكنه ما أن عرض وجهة نظره، حتى اقتنعوا بأنه برئ، فقال المحامي موضحًا وجهة النظر القانونية:

إن النيابة ما زالت تنظر إلى خاشقجي كمتهم؛ لأن سبب قدومه إلى مصر غير منطقي، فلم يذهب إلى جهة ما للدراسة، أو حتى للنزهة، أو حتى لأحد أقاربه، فهو لم يشر إلى قرابته لوليد إلا بعد في وجود النيابة.

وفي اليوم التالي، التقى الأصدقاء بخاشقجي مرة أخري، فبادرهم قائلاً:

لا تتصوروا مدي سعادتي الآن!

فسأله حمدي في دهشة:

هل حصلت على البراءة؟

فرد خاشقجي قائلاً:

لا، إن الأمر ليس له علاقة بذلك، ولكنني الآن في غاية السعادة؛ لأنني وضعت يدي على مشكلة لو قمنا بحلها، فسوف تؤدي إلى نهضة كبرى بالعالم العربي!

سألته لمياء في لهفة:

وما هي المشكلة؟

قال خاشقجي في حماس:

الفكر! فكما قلت من قبل:

إن المواطن العربي طالما لا يوجد في موقع ذي نفوس أو سلطة، وطالما أنه لا يملك ثروة، فإنه ليس بذي رأي، وإذا كانت لديه فكره فلا قيمة لها؛ لأنه لا يوجد بنك للأفكار يشتري منه هذه الفكرة، ولا يوجد من يساعده من أصحاب الأموال.

سألته هادية في حيره:

ولكن لماذا لا يتقلبون منه الفكرة؟

فأجاب خاشقجي:

لأن صاحب رأس المال لدينا يجري وراء المشاريع الناجحة ليقوم بتقليدها، وهو غير مستعد تمامًا لتقبل أي فكره جديدة وتنفيذها.

فسأله طلال في تطلع شديد:

وما هو الحل الذي تقترحه؟

قال خاشجقي بعدما أجال النظر بين الجميع ليشاهد أثر ما سيقوله على وجوهم:

الحل هو تأسيس بنك للأفكار.

ولما شاهد على وجوهم جميعًا التساؤل والدهشة، أردف شارحًا:

الأمر بسيط، وهو أن تشارك مجموعة من الأفراد في تكوين هذا البنك؛ ليقوم بشراء الأفكار المبتكرة والمرتفعة القيمة، ليقوم بتحويلها إلى مشاريع، أو بيعها لرجال الأعمال، أو أن يجعلهم يشاركونه في تنفيذها.

ثم توقف، ولما وجد الجميع غير متحمسين، أردف قائلاً:

لماذا لا يشارك كل واحد منكم في تأسيس هذا البنك؟

ثم قال لهم في إغراء:

أنتم طلبة أول كلية تأسست لتكون النواة الأول للتلاقي بين الطلبة العرب جميعًا، فلماذا لا تستكملون الطريق الذي تسيرون عليه وتقومون بإنشاء هذا البنك بأموالكم، فإن عددكم يتجاوز الأربعمائة طالب، وبإضافة أقاربكم ومعارفكم، إلى جانب أعضاء هيئة التدريس بالكلية، سيتجاوز العدد خمسمائة فرد، وإذا كانت حصة كل فرد عشرة آلاف جنيه مصري كمؤسس في هذا البنك، فإننا قد نصل بذلك إلى خمسة ملايين جنيه.

راقت الفكرة للجميع، وكان أشدهم تحمسًا لها حمدي وهادية، فقال حمدي:

إنها فكرة ممتازة، ولكن كيف ننفق على هذه

المشاريع؛ فالخمسة ملايين جنية التي يمكن تحصيلها، لا تكفي لمجرد تأسيس مشروع واحد؟!

مرت عدة دقائق راح الجميع خلالها يفكرون في حل لزيادة رأس مال هذا البنك، فقطع طلال الصمت قائلاً في حماس:

لقد وجدت حلاً لهذه المشكلة.

سألته لمياء في لهفة:

وما هو؟

أجاب طلال:

نظام التاجر!

فرد الجميع في صوت واحد:

نظام التاجر! ماذا تقصد؟!

أجاب طلال:

إن التاجر قد لا يكون لديه رأسمال كبير، كأن يكون

لديه مثلاً نصف مليون جنيه، ولكن في العام الواحد يبلغ حجم مبيعاته عشرة ملايين جنيه.

سألته لمياء وهي لا تصدق:

ماذا تقول يا طلال! هل هذا لغز؟!

قال طلال مؤكدًا:

لا، ليس لغزًا؛ فالتاجر يبدأ ببعض السلع، وعندما يبيعها، فإنه بثمن مبيعاته هذا يشترى سلعًا أخرى ويبعها، وبثمن بيعها يشتري سلعًا أخري وهكذا، حتى تبلغ مبيعاته عشرة أضعاف رأسماله.

صاح جاسر في إعجاب:

حسنًا، لقد وضعت أيدينا على نقطة في غاية الأهمية.

فأردف طلال قائلاً:

وعلى هذا الأساس، يمكننا شراء اختراع أو اختراعين دون أن ندفع ثمنهما، بل نتعاقد مع صاحب

الاختراع أو صاحب الفكرة على سداد نصف قيمة البيع له، بعدما يبيع الاختراع أو الفكرة، وهكذا يتضاعف رأس المال خلال بضع سنوات فقط.

بيد أن وليد قال في ضيق:

ولكنني ألاحظ أن العديد من الاختراعات لا تجد صدًى تجاريًا.

قال خاشقجي:

هذه النقطة هي التي تنقصنا، فأحيانا يوجد اختراع ولكنه قد لا يصلح للتنفيذ؛ فقد يحتاج إلى فكرة أخرى لتجعله صالحًا للتنفيذ أو للتسويق.

وعندما لاحظ الحيرة والتساؤل واضِحَيْن على الجميع، أردف قائلاً:

سأضرب أنا مثالاً يوضح ذلك: أنتم تعرفون أن كمية كبيرة من المياه تذهب عن طريق صندوق الطرد (السيفون) إلى مواسير الطرق، وقد تقدم أحد الأفراد

باختراع صندوق طرد يمنع هذا الإسراف في المياه.

فقال الحاج فاضل مؤكدًا:

نعم، إنها فعلاً كمية كبيرة!

فعاود خاشقجي حديثه قائلاً:

ولكن، عندما عرض صاحب هذا الاختراع اختراعه على معظم المسئولين في مصر، لم يجد صدًى، واعتبروا أنه اختراع ليس تجاريًّا؛ لأنه لن تُقْبل أسرة مصرية على شرائه، أتعرفون السبب؟

فتدخل حمدي، وقال معلقًا:

طبعًا نعرف السبب؛ لأننا في مصر لا يوجد لدينا عدَّاد لكل شقة على حدة، بل إن العداد يكون للعمارة بأكملها، وبالتالي تسدد كل شقة متوسط استهلاكها الشهري من المياه، بغض النظر إن كان الفرد قد سحب مياه كثيرة أم قليلة خلال الشهر، ولذلك لا تهتم أي أسرة بتخفيض استهلاكها من المياه، فما قيمة صندوق طرد يُخفِّض

المياه طالما أن هذا التخفيض لن ينفعها في شيء!

فقال خاشقجي:

فعلاً، هذا يحدث في مصر، ولكن توجد في العديد من الدول عدادات للمياه خاصة بكل شقة، والمياه في هذه الدول مرتفعة الثمن، فعندما يجدون صندوق طرد (سيفون) ثمنه مائة دولار، ويوفر شهريًا عشرة دولارات، فإنهم يوفرون في العام الواحد مائة وعشرين دولارًا، وذلك لمدة خمس سنوات، وهي مدة صلاحية الجهاز الذي ثمنه مائة دولار.

صاحت لمياء في إعجاب ودهشة:

يا خبر! إنها فكرة رائعة!

أردف خاشقجي قائلاً:

انظروا كم دولة في العالم تعاني من ندرة المياه لديها، من المؤكد أن أفرادها سيقبلون على شراء هذا الجهاز، وهو ما يعني أنه يمكننا أن نبيع منه عشرة

قال وليد في حماس:

فعلاً، إنها فكرة رائعة، وبالقطع إذا كنا سنبيع منه بالجملة، ستنخفض بذلك تكلفته، فلو كان المكسب خمسين دولارًا في الجهاز الواحد بعد كافة المصاريف، لوصل ربح المشروع إلى نصف مليار دولار!

فتدخل حمدي متسائلاً:

نعم، ولكن ألا يحتاج هذا الجهاز إلى مصنع كبير لإنتاجه، بالإضافة إلى دعاية ذات تكلفة باهظة ليصل إلى هذه الدول؟

إنه يحتاج إلى مائة مليون دولار على الأقل!

بيد أن هادية قالت مدافعةً عن المشروع:

ما دمنا واثقين من أن هناك آلافًا من أصحاب الأفكار، فلماذا لا نقوم بإنشاء الشركة، فنطرح على أصحاب الأفكار أن يوافونا بأفكارهم في جميع المراحل، فالمخترع

يقدم فكرة، ثم تُطرح فكرة أيضًا لتحويل هذا الاختراع إلى اختراع تجاري، فمن المؤكد أنه يوجد من يدلي بفكرة لحل مشكلة التصنيع والتسويق؛ فالأفكار من طبيعتها أن تكمل بعضها البعض، فإذا توصلنا إلى فكرة متكاملة، سيهرع أصحاب رؤوس الأموال لتنفيذها.

فصاح جاسر في حماس هائل:

إذا كانت فكرة واحدة من الممكن أن تؤدي إلى تحقيق هذا الربح الهائل، فما بالنا لو قمنا بشراء مئات الاختراعات؟!

لنقم منذ الآن بعرض فكرة المشروع على زملائنا من طلبة كلية الصيدلة العربية، للمساهمة في تأسيس هذا المشروع، فيقوم كل منهم بدوره بعرض الفكرة على معارفه وأصدقائه، ومن هنا قد نكوّن رأس مال كبيرًا.

لم تمر إلا بضعة أيام فقط، حتى تم عرض الفكرة على طلبة كلية الاقتصاد عندما عاد الجميع من إجازتهم،

لقي المشروع صدًى كبيرًا لدي الطلبة، فتحمسوا جميعًا للفكرة، وطالب البعض بأن لا تتوقف مساهمته على الحد الأدنى، والذي قيمته عشرة آلاف دولار، بل طالبوا بالمساهمة بمائة ألف دولار؛ فقد كانت فكرة صندوق الطرد (السيفون) هي الأساس، والذي بناءً عليه سيتم إنشاء بنك الأفكار، لدرجة أن الجميع قد نسوا أنهم مشاركون في مشروع بنك الأفكار، وكأنما تحول مشروع البنك إلى مشروع لإنتاج صندوق الطرد!

ما كاد الأصدقاء الستة يقفون في الكافتيريا لمناقشة تفاصيل جمع الأموال، حتى أقبل عليهم أحد الطلبة ونادى الأصدقاء في لهجة عتاب، وهو يحمل بين يديه نسخة من الجريدة اليومية:

لقد كدنا ننخدع فيكم أيها الزملاء!

فما أن نظر إليه الجميع في ذهول، حتى قال وهو يناول جاسرًا نسخة الجريدة:

أنظروا!

هذا إعلان لشركة يظهر أنها هي التي تبيع صندوق الطرد الذي يوفر نصف المياه!!

***

وتتواصل الأفكار

كان خبر امتلاك شركة لصندوق الطرد (السيفون) على الأصدقاء بمثابة الكارثة، حيث شعروا أن زملاءهم من الطلبة، والذين أقبلوا على المساهمة في بنك الأفكار بِنَاءً على مشروع صندوق الطرد (السيفون) هذا، سيرون بعد امتلاك شركة أخرى لفكرة هذا الاختراع، أن مشروعهم هذا وهمي.

لم يلبث الأصدقاء أن علموا أن خبر هذا الاختراع وفكرة تسويقه الهائلة قد تسربت إلى العديد من المصريين، ولما وصل هذا الخبر إلى أصحاب هذه الشركة المعلنة، أسرعوا إلى مخترع هذا الصندوق، وقاموا بشراء حق اختراعه بمليوني دولار؛ لتقوم الشركة باحتكار بيعه وإنتاجه.

غمغم جاسر في حنق بعدما علم بالخبر:

وما العمل؟ لقد أصبحنا بذلك موضعًا لعدم الثقة بين

جميع زملائنا.

وعقَّبت لمياء في ضيق:

فعلاً! لقد كدنا أن نكون مثارًا للنقد اللاذع من الجميع. الحمد لله أن ذلك قد تم قبل أن يقوم أحد بسداد حصته في المساهمة، فلو حدث ذلك لاعتبرونا محتالين!

سادت فترة صمت طويلة، لم تلبث أن قطعتها هادية قائلة في لهجة تأكيد:

بالعكس، إن خبر شراء هذه الشركة لهذا الاختراع في صالحنا تمامًا!

فسألها جاسر وهو لا يصدق:

ماذا تقولين يا هادية؟!

فلما شاهدت هادية الدهشة والحيرة على وجوه الجميع، أردفت مفسِّرة وجهة نظرها:

إن شراء الشركة لهذا الاختراع، إنما يعني أنها قد

سبقتنا في الشراء، وهذا يدل على أن هذا الاختراع لم يكن وهميًا، بل كان من الأهمية لدرجة أن شركة كبرى تسارع لشرائه، وتسدد مليوني دولار للحصول عليه، وهذا مبلغ كبير يفوق المبلغ الذي كنا سنحصّله من جميع المشتركين!

فقال حمدي مؤكدًا:

فعلاً، إن كلام هادية سليم، فلا تنسوا أن فكرة بنك الأفكار ليست قائمة من الأساس على فكرة هذا الاختراع، فمن المؤكد أن هناك مئات، بل آلاف الاختراعات التي سمعت عنها، ما زال أصحابها ينتظرون من يشتريها، ولا تجد من يحولها إلى اختراعات قابلة للتسويق.

وكما توقعت هادية ومعها حمدي، أن يكون شراء هذه الشركة للاختراع في صالح مشروع بنك الأفكار، قام جميع طلبة الكلية، بل وأقاربهم ومعارفهم، وحتى أعضاء هيئة التدريس، بالمساهمة في مشروع بنك الأفكار، ولم يكتفِ أحد بالحد الأدنى من المساهمة بالمشروع، والذي

قيمته عشرة آلاف دولار، بل قام العديد من المساهمين بسداد أضعاف أضعاف هذه الحصة.

وبعد ثلاثة أسابيع فقط، أعلنت اللجنة المالية لمشروع بنك الأفكار، أن إجمالي ما تم سداده هو اثنا عشر مليون دولار، وتم انتخاب خاشقجي رئيسًا للبنك بإجماع كل المؤسسين؛ لأنه ليس فقط صاحب فكرة البنك، ولكن لقدرته الفائقة على التعامل مع الاختراعات، كما اتضح لهم جميعًا.

وكان عميد الكلية من أشد أنصار وجود بنك أفكار، حيث علق على ذلك قائلاً في غِبْطة:

إن الكلية قد توصلت إلى أكثر من ابتكار لدواء ومستحضر كيميائي، وهذا البنك سيكون بمثابة الفرصة الذهبية لشراء ابتكاراتنا!

وكانت أول مرحلة في المشروع، هي شراء حق اختراع دواء لمرض البلهارسيا، توصلت إليه مجموعة

من الباحثين بكلية الصيدلة العربية، وعلى رأسهم أستاذ الأدوية بالكلية، فقامت إدارة بنك الأفكار بسداد مبلغ مائة ألف جنيه مصري كمكافأة لمن قاموا بالبحث، على أن تمنحهم ربع حق بيع الدواء لو تم تسويقه في جميع أنحاء العالم؛ فغمرت الفرحة أفراد المجموعة، وجعلوا ينتظرون نتائج البيع وهم على أحر من الجمر.

وكان للإعلان عن وجود بنك يقوم بشراء الأفكار وبيعها، صدى السحر بين العديد من المصريين والعرب، من الذين يعشقون التوصل إلى أفكار مبتكرة، ومن الذين يملكون القدرة على الاختراع؛ فأسرع العديد من الشباب والكبار بعرض ابتكاراتهم، ومن ضمن هؤلاء قدم شاب مصري أحد ابتكاراته.

كان الابتكار في غاية البساطة، ولكنه رغم ذلك أثار إعجاب واهتمام كل المسئولين ببنك الأفكار؛ لأنه يمكن تسويقه بسهولة؛ فقد وجد هذا الشاب أن ما لا يقل عن ثمانية عشر مليون أسرة مصرية، تشتري الخبز البلدي

يوميًا من الأفران، ولكن كل هذه الأسر تصادف مشكلة في شراء الخبز من الفرن؛ حيث إنهم يضطرون إلى الوقوف لمدة لا تقل عن عشر دقائق في كل يوم أمام الفرن، في انتظار أن يبرد الخبز الذي يخرج لتوّه من الفرن، وإلا صار هذا الخبز كالعجينة، أو يُضطر البعض- وهم البوابون غالبا- إلى حمل الخبز على قفص يضعونه فوق رؤوسهم وهم يسيرون في الطريق بشكل يبدو بدائيًا جدًا. توصل هذا الشاب إلى تصميم لحقيبة من البلاستيك تحتوي على جيوب للخبز، كل واحد منها مليئ بثقوب التهوية، ولون الحقيبة برتقالي، حتى لا يظهر الخبز الموجود بداخلها.

وبعد عرض هذا التصميم على إدارتي الجدوى والتسويق الخاصة ببنك الأفكار، اتضح أن هذه الحقيبة ستحل مشكلة مشتريي الخبز تمامًا، فلن يقف أحد لينتظر الخبز حتى يجف. وبعد أن عرضت اللجنة الموضوع على أصحاب الأفكار لإضافة أفكار جديدة لتسويق هذه



هنا يزدحم الناس من أجل شراء الخبز

الحقيبة، طرح أحد الناس فكرة إضافية، وهي توفير سيارة من الفيبر يتم تركيبها وفكها، وتتكون من مجموعة من أدراج الفيبر التي تحتوي كل منها على ثقوب لتهوية الخبز، أما قاعدتها فمن أربع عجلات، ويتم فكها بعد إخلائها من الخبز، حتى لا تشغل مساحة من المكان، فكأنها بمثابة حقيبة، وهي خاصة ببوابي العمارات، وأصحاب المطاعم المختلفة الذين يحتاجون إلى نقل الخبز، سواء لسكاني العمارات، أو للذين يقبلون على تناول الساندويتشات أو الأكل في هذه المطاعم.

استقرت دراسة الجدوى للحقيبة الشخصية والحقيبة الفيبر ذات العجلات، على أنه يمكن تحقيق ربح مقداره خمسة ملايين جنيه سنويًّا من هذا المشروع، ولكن شابًّا صومالي الجنسية تقدم بفكرة تفيد بأنه يمكن بيع الحقيبة في جميع الدول التي تشكل الحبوب – والتي يُصنع منها الخبز– شأنًا كبيرًا في حياة شعبها، مثل: الهند، وباكستان، ونيجيريا، وغيرها من الدول؛ ولذلك فإن

الأمر يحتاج إلى مصنع كبير لإنتاج كميات هائلة تقدر بمائتي مليون حقيبة سنويًا.

شعر الأصدقاء بفرحة غامرة؛ لأنهم قد صاروا بذلك مساهمين في هذا المشروع الضخم.

وكان والد حمدي قد سدد من أمواله حصة حمدي بالجنيه المصري، وهو ما يعادل أربعين ألف دولار، كما أن والد هادية- الشيخ بن حمدان- سدد نفس القيمة لهادية؛ حتى يوفرا دخلاً لهما بعد زواجهما.

وكانت الدراسة قد أسفرت على أنه يجب إنشاء مصنع ضخم لإنتاج هذه الحقائب، فوجدت الإدارة أن الأمر يقتضي ثلاثة أعوام بأكملها حتى يتم إنشاء المصنع، فأفاد خاشقجي بأنه اتصل بإحدى الشركات الموجودة بإمارة دبي، والتي تمتلك مصنعًا قائمًا وجاهزًا للإنتاج بالفعل، وعرض على هذه الشركة شراء المصنع؛ لكي يقوموا بالإنتاج من خلاله بعد إجراء تحويل طفيف به لا يقتضي إلا ثلاثة شهور فقط، وأن قيمة هذا المصنع

التي تم الاتفاق عليها هي عشرة ملايين دولار أمريكي.

رحبت إدارة البنك على الفور بالفكرة؛ فقد وجدت أنها ممتازة من كل الأوجه، حيث إن الموقع قريب من أسواق الهند، وباكستان، وغيرها من الدول التي تحتاج أسواقها إلى هذه الحقائب.

وعلى الفور، طلبت الإدارة من خاشقجي القيام بمهمة التعاقد مع هذه الشركة.

وما أن سافر خاشقجي إلى دبي، حتى قام على الفور بفتح حساب له في أحد البنوك هناك، وبعد يومين فقط طلب من إدارة البنك تحويل عشرة مليارات دولار بالكامل إلى حسابه؛ حتى يتم إنهاء التفاوض والسداد للشركة.

وعلى الفور تم تحويل القيمة بالكامل إلى حسابه، وبعد مرور عشرة أيام، لم يوافِ خاشقجي إدارة بنك الأفكار بشيء، وكان تليفونه المحمول مغلقًا دائمًا؛ فراح

المسئولون ببنك الأفكار يتصلون بالفندق الذي أقام فيه خاشقجي، ولكن إدارة الفندق أخبرتهم بأنه أقام بالفندق يومًا واحدًا فقط، واختفى في اليوم التالي، وترك حقائبه بغرفة الفندق، فاتصلوا على الفور بالبنك الذي تم تحويل المبلغ إليه، فأفادهم البنك بأن خاشقجي قد قام بسحب الرصيد بالكامل من البنك.

اعتقد المسئولون أنه سحب المبلغ ليقوم بسداده لأصحاب الشركة، ولكنهم فوجئوا بأن خاشقجي لم يقم بالشراء، ولم يسدد شيئًا من الرصيد المحول إليه!

عندئذٍ قال المسئولون في بنك الأفكار وهم لا يصدقون:

إن خاشقجي بذلك قد سرق رأسمال بنك الأفكار بالكامل وهرب!!

* * *

أُصيب الأصدقاء الستة بذهول تام، فقد شعروا جميعًا أنهم قد أصابتهم كارثة، ليست ناتجة فقط عن ضياع أموالهم، ولكن باعتبارهم وسطاء لهذا المجرم أمام زملائهم بالكلية، وأمام هيئة التدريس أيضًا، وكاد وليد أن يقع مغشيًّا عليه من هول الصدمة؛ فالمتهم هو زوج شقيقته!!

وقام وليد رغمًا عنه بالاتصال بشقيقته؛ ليعرف منها إن كانت قد شاهدت زوجها أو أخبرها بشيء، ولكنه فوجئ بها تخبره بأن خاشقجي لم يتصل بها منذ عشرة أيام، وأنها لذلك كانت على وشك الاتصال بوليد به لتسأله عن زوجها. كان هذا الخبر بمثابة المصيبة التي قطعت آخر أمل بالنسبة للأصدقاء، وجعلتهم يتأكدون بذلك من هروب خاشقجي بعدما سرق العشرة ملايين دولار بالكامل!!

لم يجد الحاج فاضل بُدًّا من اللجوء إلى الشرطة

المصرية، وقام بعمل محضر بالحادث، وتحول المحضر إلى النيابة، والتي قامت باستدعاء الحاج فاضل، وأخبرته بأنه يُعتبر مع ابنه وزملائه مسئولين عما حدث؛ لأن النيابة أخطرت المحامي بأن خاشقجي أحد أفراد العصابة التي سطت على محال الصاغة، وأنهم قد تركوه حرًّا ليراقبوه في الخفاء؛ ليصلوا من خلال ذلك إلى مكان العصابة، وأن المحامي قد أخطرهم بذلك، فكيف يأمنون له ويحولوا إليه مبلغًا ضخمًا مقداره عشرة ملايين دولار؟!

ولم يمر غير يوم واحد، حتى فوجئ الأصدقاء بجميع زملائهم بكلية الصيدلة العربية يلجأون إلى مركز شرطة مرسى مطروح، حيث قاموا بعمل محضر بالحادث، ثم قاموا جميعًا بالتوقيع عليه؛ فحولت شرطة مرسى مطروح هذا المحضر إلى مديرية أمن القاهرة، والتي قامت على الفور باستدعاء الأصدقاء الستة؛ لأنهم الذين قاموا بإيواء المجرم خاشقجي، وهم على علم بأنه أحد

المتهمين بالسطو على محال الصاغة!

أصدرت نيابة القاهرة أوامرها بالتحفظ على الحاج فاضل والأصدقاء الستة داخل مدينة القاهرة؛ ليكونوا تحت سيطرة رجال الأمن المصري لسؤالهم في أي وقت.

علّق طلال قائلاً:

الحمد لله. إن هذا الموضوع قد تم بعد انتهائنا من الامتحان وظهور النتيجة.

بيد أن جاسر قال وهو لا يصدق:

ولكن موقفنا قد سار في منتهي الخطورة، فقد تحددت إقامتنا عن طريق النيابة، وربما يقبضون علينا بتهمة التآمر مع خاشقجي.

فقال وليد في أسًى شديد:

أنا لا أعرف ماذا أقول عمَّا سببته لكم من هذه المصائب، فلم أكن أتصور أبدًا أن يحدث ذلك مع زوج شقيقتي.

فردت عليه لمياء قائلة في أسًى:

وما ذنبك أنت يا وليد؟ لقد فوجئت مثلنا بما حدث، ويكفي أن الصدمة ستكون شديدة الوقع على شقيقتك وأولادها.

بيد أنه بعد ثلاثة أيام، وبينما كان الأصدقاء يبيتون في شقة حمدي وسط أسرته، إذا بالحاج فاضل يعود من عمله، ويبادر الجميع قائلاً:

لقد سألت المحامي اليوم، فقال: إنه ما يزال يتابع الموضوع مع النيابة، ولكنه وجد النيابة لا تركز إلا على موضوع سرقة محال الصاغة.

فعلّق طلال في ضيق شديد:

والمشكلة الكبرى أننا لا نملك السلطة أو الإمكانيات التي تجعلنا نتصل بأحد لمتابعة الأمر.

خطرت لحمدي فكرة، فقال فجأة في حماس:

اسمعوا.. مادمنا نُعتبر في عِداد المتهمين أمام

النيابة، فذلك ادعى أن توظف هي سلطاتها للاستفسار عن كل ما نريد معرفته.

فلما نظر إليه الجميع في دهشة، أردف قائلاً:

نعم، فأول سؤال كنت أريد معرفته هو:

هل يمكن لخاشقجي أن يسحب عشرة ملايين دولار بمفرده، فذلك يقتضي- على الأقل- توفير خمسين حقيبة لحمله بها.

فسأله جاسر في حيرة:

وما المشكلة في ذلك؟

فقال حمدي:

إن هذا يعني استحالة سحب المبلغ إلا من خلال تحويله لبنك آخر، وهنا نستطيع معرفة البنك الذي تم تحويل الحساب إليه، والخاص بخاشقجي، فتصدر المحكمة حكمًا سريعًا على خاشقجي، وتصدر بالتالي أوامرها إلى هذا البنك بالتحفظ على رصيد خاشقجي به.

فأطلق الجميع آهات الإعجاب، وعلى الفور، قام حمدي بالاتصال بالمحامي، والذي اعتبر ذلك أول الخيط للوصول إلى المجرم.

وعلى الفور، توجه المحامي إلى مكتب وكيل النيابة، وما هي إلا بضع ساعات فقط، حتى جاء الخبر.

لقد تم تحويل حساب خاشقجي بالكامل إلى أحد بنوك سويسرا.

ولكن الكارثة الكبرى تمثلت في أن البنك السويسري قد رفض تقديم أية معلومات عن صاحب الحساب، إلا من خلال طلب العميل نفسه.

فصاح الحاج فاضل قائلاً في أسًى وحزن:

إن هذا يعني أن الرصيد قد خرج بالكامل خارج البلاد، وضاعت على المساهمين ببنك الأفكار عشرة ملايين دولار، وهي كل رأسمال البنك!!

***

سادت بين الأصدقاء الستة حالة من الحزن العميق، وشعر حمدي وهادية أن المبلغ الذي رصده والداهما لهما ببنك الأفكار ليعيشا على حصيلته، قد ضاع عليهما. أما جاسر فقد اقترض والده عشرين ألف دولار ليساهم ابنه بها في بنك الأفكار؛ حتى يضمن له مستقبلاً بعد تخرجه، فحزن جاسر حزنًا شديدًا؛ لأنه قد ألحَّ على والده، وأقنعه أن العائد سيكون مرتفعًا، فوقع والده بذلك في هذا المأزق.

أما لمياء فقد باعت والدتها الأرض التي تملكها وتعيش على ريعها؛ لكي تسدد لابنتها عشرين ألف دولار، لتعينها على جهازها.

ومرت ثلاثة أيام كانت من أسوأ ما مر على الأصدقاء، وخاصة وليد الذي شعر أنه قد أضاع ما ادَّخره له والده، وأن مستقبل شقيقته وأولادها قد ضاع تمامًا بسبب هذا الأب المجرم!

إلا أنه وفي صباح اليوم الرابع، فوجئ الجميع بحمدي يوقظهم من نومهم، ويبادرهم قائلاً:

يجب علينا ألا نقف مكتوفي الأيدي هكذا؛ فالاستسلام للحزن هو الذي يهزمنا.

فقالت لمياء في حزن:

وماذا نفعل يا حمدي إزاء مجرم هارب ضلل الشرطة كلها.

وبعد نصف ساعة فقط من تناول الجميع للشاي، إذا بتليفون المنزل يرن، وكان المتحدث هو وكيل نيابة الجمالية، حيث طلب من وليد الحضور فورًا إلى النيابة لاستكمال بعض البيانات الخاصة بخاشقجي.

فقال جاسر وهو يشرع في دخول غرفته:

انتظرني يا وليد، سأذهب معك، فلن أتركك وحدك في هذه الظروف.

فتدخل حمدي قائلاً:

بل أنا سأرافقكما، فأنتما لا تعرفان الطريق.

وعندما ذهب الثلاثة إلى النيابة، حاول الصديقان حمدي وجاسر دخول مكتب وكيل النيابة مع وليد، ولكن كانت الأوامر مشدَّدة بألا يدخل أحد سوى وليد بمفرده، فاضطر الصديقان إلى انتظاره لمدة نصف ساعة كاملة حتى خرج من المكتب وهو يحمل في يده صورًا من المحاضر، فسأله حمدي في لهفة:

ماذا حدث؟

فقال وليد:

لقد كان وكيل النيابة يسألني عن كل ما أعرفه عن خاشقجي، فلما أجبته أعطاني صورًا من محاضر النيابة والشرطة، وهي تحوي عددًا من الأسماء، لعلي أتعرف على بعضها، أو أتصل بشقيقتي، فربما تكون على علم بأحدها.

بيد أنه بعد أن عاد الجميع إلى منزل حمدي، قام



لقد أعطانى وكيل النيابة كشف لعلى أتعرف على أحدهم

الأصدقاء بالإطلاع على صور المحاضر، فما أن فرغ حمدي من قراءة هذه الصور، إذا به يصيح فجأة:

انظروا إلى صورة التحويل من البنك الذي يوجد به حساب خاشقجي!

فسألته لمياء في دهشة:

ماذا تقصد؟

فأجاب حمدي:

إن التحويل من حساب خاشقجي ببنك دبي إلى حساب رجل يُدعى عبد الحميد البهنسي، وهو ربما كان صاحب المصنع الذي كان بنك الأفكار سيشتريه منه، أو ربما كان شريكًا في هذا المصنع، ولكن أصحاب الشركة نفوا تمامًا معرفتهم بعبد الحميد البهنسي.

ثم أردف حمدي:

ولكن الغريب في الأمر، أنه لو لم يكن عبد الحميد البهنسي من أصحاب المصنع، فإن معني ذلك أنه شريك

لخاشقجي، فهل يثق مجرم في مجرم مثله، لدرجة أن يحول إليه مبلغًا كبيرًا كهذا، مقابل أن يعطيه المبلغ عندما يتقابلا في الخارج؟!

فقال جاسر في حيرة:

وماذا في ذلك؟

فربما كانت بينهما حسابات، أو اشترى منه خاشقجي أشياءً، وسددها له على حسابه في سويسرا.

فعقب طلال:

أو ربما كان الأمر خدعة، فيقوم خاشقجي بتحويل حسابه إلى عبد الحميد البهنسي، حتى لا تضع المحكمة يدها على حساب خاشقجي بعد الحكم عليه؛ لأن عبد الحميد البهنسي لا علاقة له بالمحكمة.

إلا أن هادية قالت في شك.

ولكن ما الذي يجعل خاشقجي يثق في عبد الحميد هذا لدرجة أن يحول له رصيده بأكمله.

لا تنسوا أن المبلغ ضخم جدًّا.

فتدخل وليد وقال في حيرة:

يا الله!

إن معنى ذلك أن عبد الحميد البهنسي هذا إما شريك لخاشقجي، أو عضو في العصابة، وهو بذلك مفتاح الوصول إلى خاشقجي.

تساءل طلال وهو لا يصدق:

أمر غريب! وهل هذا الأمر غائب عن رجال النيابة؟!

فاضطر حمدي وطلال إلى الذهاب إلى مكتب وكيل النيابة في صباح اليوم التالي مباشرة، ولما أخبراه بموضوع عبد الحميد البهنساوي هذا، أجابهم بأنه ليس مصريًّا، حيث وافته وزارة الداخلية أنه لا يوجد في سجلاتها أحد بهذا الاسم، إلا ثلاثة أفراد:

طفلان صغيران، والآخر رجل توفِّي منذ عامين.

فبدت عن طلال صرخة، وقال وهو لا يصدق:

يا خبر! إن معنى ذلك أن عبد الحميد البهنسي شخصية مزيفة، وهذا لا يعني إلا شيئًا واحدًا!

فلما نظر إليه حمدي ووكيل النيابة، أردف قائلاً:

ذلك يعني أنه خاشقجي نفسه!!

***

قال حمدي في حيرة:

إذا كان خاشقجي قد استخرج جواز سفر باسم عبد الحميد البهنسي، فمن المؤكد أنه قد غادر البلاد قبل القبض عليه، سواء باسمه الحقيقي، أو تحت اسم عبد الحميد البهنسي، وهذا يُسهل على وزارة الداخلية بدبي الحصول على صورة من جواز سفره؛ فالبحث عن الاسم سيكون خلال المدة ما بين وصول خاشقجي إلى دبي وحتى الآن، وهي مدة قصيرة جدًّا.

وفي إثر ذلك، أرسلت النيابة- عن طريق وزارة الخارجية- إلى السفارة المصرية في دبي، تطلب موافاة مصر، من جانب وزارة داخلية بدبي، بتتبع دخول أو خروج شخصية باسم عبد الحميد البهنسي خلال الشهر الماضي.

وفي اليوم التالي مباشرة، وصلت الإجابة:

لم تدخل أو تخرج من دبي شخصية باسم عبد الحميد البهنسي، فعاد حمدي وطلال أخيرًا من مكتب وكيل النيابة، وهما في حيرة من أمر شخصية البهنسي هذا، ولكنهما ما أن أخبرا بقية الأصدقاء بما حدث، حتى راح الجميع يفكر في لغز البهنسي هذا، ثم قالت هادية:

ولكن، لماذا يخرج خاشقجي باسم عبد الحميد البهنسي؟ من المحتمل أنه خرج باسمه العادي حتى لا يثير الشك، ولكنه في الوقت نفسه يملك جوازًا آخر باسم عبد الحميد البهنسي؛ ليعيش بهذا الاسم الذي هرَّب إليه المبلغ.

عقب طلال في شك:

لقد افترضنا أن عبد الحميد البهنسي هذا شخصية مزيفة، باسم وجواز سفر مزيف، ولذلك افترضنا أنه مصري، أو هو خاشقجي نفسه، فلماذا لا تكون هناك شخصية أخري تحت هذا الاسم، ولكنها غير مصرية وتعرف خاشقجي، وقد اتفق الاثنان معًا على أن يصبح

هذا الحساب باسم البهنسي هذا؛ حتى لا يتم وضع يد الحكومة المصرية بحكم المحكمة على حسابه هذا، أما عبد الحميد البهنسي فلا توجد مشكلة بالنسبة له، على أن يمنح عبد الحميد هذا مبلغًا كبيرًا جدًّا، حتى ولو كان نصف القيمة بأكملها.

شعر الجميع أن الأمر بذلك قد صار أشدّ تعقيدًا، وأنهم أمام لغز ليس له حل أبدًا.

فعلق جاسر في حيرة شديدة:

للأسف، إن شدة ذكاء هذا الرجل جعلته بهذا الغموض!

أنهى جاسر كلامه، وإذا بجرس التليفون الخاص بوليد يرن، فقام للرد على المتحدث، وظل لمدة طويلة في الحديث، ثم عاد وهو يقول بنبرات كلها أسًى وحزن:

إنها شقيقتي تسألني في قلق عن زوجها، ولما صارحتها بما حدث بالضبط لم تتفوه بكلمة واحدة،

فاضطررت إلى معاودة الاتصال بها مرات عديدة حتى أطمأن عليها، ومن الواضح أنها أُصيبت بصدمة شديدة، ولم تصدق ما حدث، ولذلك قلت لها: إن الأمر مجرد اشتباه، ولم تظهر الحقيقة بعد.

فقالت هادية:

كان يجب أن تعرف شقيقتك حقيقة زوجها.

فغمغمت لمياء في ضيق ويأس قاتل:

كيف يقبضون عليه وهو شخصية في غاية الغموض. إنه شيطان في صورة إنسان؛ فقد عرف كيف يخدع الآلاف، بما فيهم رجال الشرطة.

مضى هذا اليوم على الأصدقاء وهم في غاية الحزن والأسى، وكان وليد دائم البكاء على مصير شقيقته وأبنائها، وراح يردد في أسًى وحزن:

إن خبر خاشقجي لن يصيب شقيقتي وأبناءها فقط بالحزن، بل قد يُصيب والداي أيضًا، فهما كبار السن،

ولن يتحمَّلا مثل هذه الصدمة.

لم ينم أحد من الأصدقاء حتى صباح اليوم التالي، وفي منتصف الساعة العاشرة، إذا بتليفون مسكن حمدي يرن، حيث كان المتحدث وكيل نيابة الجمالية، والذي بادر الجميع قائلاً:

تعالوا فورًا لأمر هام.

سأله حمدي، والذي كان يرد على المكالمة، عن سبب الحضور المفاجئ، فأجابه وكيل النيابة بنبرات يغلب عليها الأمل والتفاؤل:

لأننا قبضنا على أحد أفراد العصابة التي قامت بالسطو على محال الصاغة، ووافانا الرجل بمعلومات عن خاشقجي؛ فنظر الجميع إلى بعضهم البعض وهم في دهشة شديدة!!

***

أسرع الأصدقاء الستة ومعهم الحاج فاضل إلى مكتب وكيل النيابة، وكان الجميع في حالة من اللهفة الشديدة لمعرفة ما حدث، وما أن تقابلوا مع وكيل النيابة، لم يطق أحد منهم الجلوس من فرط اللهفة، فبادرهم وكيل النيابة قائلاً، وقد بدت عنه ابتسامة واسعة:

لقد أرسلنا إلى العديد من الدول- وخاصة تركيا- بيانًا عن المجوهرات المسروقة، والتي كانت تتضمن مجوهرات أسرية لزوجة خديوي مصر السابق إسماعيل باشا، وكانت لدى أحد أصحاب متاجر الجواهر المسروقة صورة فوتوغرافية لهذه الجواهر، فأرسلنا نسخة من هذه الصور إلى جميع المحال في تركيا؛ لأن هذه المجوهرات لا يمكن بيعها إلا في تركيا فقط؛ لأنها تشكيلة لمجموعة مجوهرات خاصة بأسرة الخديوي السابق.

توقف الرجل عن الكلام، وزفر في عمق، ثم عاود

حديثه قائلاً:

وبالأمس فقط، ذهب أحد الرجال لبيعها لمتجر مجوهرات بتركيا، وعلى الفور، اتصل صاحب المتجر بالشرطة في هناك، وأبلغهم بوجود البائع، فأسرعت الشرطة بالقبض على المجرم.

لم يتمالك الحاج فاضل نفسه، وسأل وكيل النيابة في لهفة شديدة:

وهل اعترف هذا المجرم على خاشقجي، وأبلغ عن مكانه؟!

ولكن الجميع فوجئوا بوكيل النيابة يهز رأسه نافيًا، ثم قال:

لا.. الغريب في الأمر أنه قد صارحنا بأن خاشقجي لم يكن فعلاً ضمن أفراد العصابة، وأنه جاء إلى المقهى بالصدفة!

راح الأصدقاء والحاج فاضل ينظرون إلى وكيل

النيابة وهم في دهشة شديدة، فأردف قائلاً:

كما أضاف أنهم كعصابة يتعقبون خاشقجي في كل مكان؛ حتى لا يقوم بالإرشاد عنهم لو عرضت عليه المباحث صورهم.

فسأله جاسر في دهشة:

ولكن..

ألم تعرضوا على خاشقجي صورهم؟

فقال وكيل النيابة:

للأسف! إن صور المجرمين أصحاب السوابق والمتخصصين في سرقة المجوهرات الذين عرضنا صورهم على خاشقجي، لم يتعرف منها على أحد، فاعتقدنا أنه أنكر ذلك حتى لا يرشدنا على بقية زملائه، وللأسف فإن أفراد العصابة التي سرقت مجوهرات الصاغة لم يكونوا من أصحاب السوابق، بل قام معظمهم بسرقات عديدة للمجوهرات، ولم يُقبض عليهم في جرائم

من قبل، وهذا ما صرح به عضو العصابة الذي قبضنا عليه.

فقال طلال في حيرة:

معني ذلك أن خاشقجي بريء من سرقة المجوهرات مع العصابة!

ولكن، ربما لم يبلغ عنه الرجل الذي قبضتم عليه خوفًا منه.

نفى وكيل النيابة ذلك قائلاً:

لا..

إن الرجل اعترف على نفسه اعترافًا صريحًا، ومن صالحه أن يدلنا على أفراد العصابة، حتى نخفف عنه الحكم، أو يكون كشاهد ملك فيفوز بالبراءة، وهو بالفعل دلنا على معظم أفراد العصابة.

عاد الأصدقاء إلى منزل حمدي مرة ثانية، وكانوا هذه المرة في منتهي الحيرة.

كان السؤال الذي راح يسأله كل واحد منهم هو: إذا كان خاشقجي بريئًا من عضوية هذه العصابة، فما موقفه من أموال بنك الأفكار؟!

استمروا على ذلك مدة طويلة سادها الصمت، وكان كل واحد منهم يحاول فك هذا الطلسم، وفجأة قطع حمدي الصمت قائلاً:

إنني على شفا الوصول إلى حقيقة هائلة!

فسأله جاسر في لهفة:

وما هي؟

قال حمدي وهو يضع يده في جيبه، ويخرج تليفونه المحمول، ويتابع رقمًا من الأرقام على شاشته:

إن هذا الأمر سوف يتحدد تمامًا بعد اتصالي بوكيل النيابة.

وعلى الفور سمعه الجميع يسأل وكيل النيابة إن كان خاشقجي هو الذي ذهب إلى البنك بنفسه وأصدر أمرًا

بتحويل رصيده إلى البنك السويسري، أم أن هناك فردًا آخر قد قام بتقديم أمر التحويل إلى البنك؟

وبعد أن أنهي المكالمة، إذا بالحاج فاضل يتصل ويطلب منه الذهاب لإحضار ميكانيكي سيارات؛ ليقوم بفحص سيارته التي تعطلت، فذهب حمدي يرافقه جاسر إلى ورشة ميكانيكا السيارات، إلا أنه ما كاد ينتهي من شرح أسباب العطل لصاحب الورشة حسب ما سمع من مكالمة والده، ويخبره بالمكان الذي توقفت فيه السيارة، إذا بتليفونه المحمول يرن.

كان المتحدث وكيل النيابة، والذي أخبره بأن التحويل الذي تم من حساب خاشقجي إلى حساب عبد الحميد البهنسي ببنك سويسرا، لم يتم تقديمه عن طريق خاشقجي، بل الذي قدمه شخص آخر، وما أن سمع حمدي بذلك، حتى غادر ورشة الميكانيكا بسرعة، وأسرع إلى المنزل يرافقه جاسر؛ ليخبر الأصدقاء بما حدث.

أخبر حمدي بقية الأصدقاء بأن هناك شخصًا ما قام بتقديم أمر التحويل إلى البنك، وأنهى حديثه قائلاً:

لقد وضعت يدي الآن على أول الخيط الذي سيفسر لنا الموقف تمامًا.

ثم قال وكأنه يحدث نفسه:

لكي أتأكد من صحة تفسيري هذا، لا يوجد أمامي إلا سؤال واحد سأطلب من وكيل النيابة الإجابة عليه.

فسألته لمياء في لهفة:

وما هو هذا السؤال:

فأجاب حمدي:

إن النيابة تعرف أن خاشقجي- حسب المعلومات التي حصلت عليها من قبل- قد دخل إلى دبي، ونريد أن نعرف إن كان خاشقجي خرج منها أم لا، وهل خرج منها رجل في هذه الفترة باسم عبد الحميد البهنسي؟

لم ينتظر حمدي عيون الجميع المتسائلة عن خطته هذه، بل قام على الفور بالاتصال بمكتب وكيل النيابة، وسمعه الجميع يطلب منه معرفة ذلك.

لم يتحدث حمدي طوال اليوم مع أحد في أمر من الأمور، بل جعل طوال اليوم يتحرك بالشقة ذهابًا وإيابًا، وهو في حالة شديدة من القلق.

وفي صباح اليوم التالي وصله الخبر بأن خاشقجي لم يغادر دبي منذ أن دخلها منذ ثلاثة أسابيع وحتى تاريخه، أما عبد الحميد البهنسي، فلم يدخل دبي أصلاً.

وما أن سمع حمدي بهذا الخبر، حتى صاح مهللاً، وقال وقد شعر بأنه نجح في تقديره تمامًا:

لقد توصلت الآن إلى الحقيقة!

فسأله جاسر في لهفة شديدة:

وما هي؟

فأجاب حمدي:

إن خاشقجي مختطف في دبي، والذي قام بخطفه هو عبد الحميد البهنسي أو أحد رجاله!

فنظر إليه الجميع في دهشة شديدة!!

***

وقف الأصدقاء جميعًا ينظرون إلى حمدي وهم في دهشة شديدة، وسألته لمياء وهي في حيرة من هذا الاستنتاج:

ولكن، كيف توصلت إلى هذا الاستنتاج؟!

فقال حمدي وهو يُجيل النظر بين الجميع:

لو كان خاشقجي هو الذي قام بتحويل الرصيد لحساب عبد الحميد البهنسي مباشرة، سواء كان هو عبد الحميد البهنسي، أو كان عبد الحميد مجرد شريك له، فليس أمامه سوى مغادرة دبي بسرعة، قبل أن تُكتشف الحقيقة، فيقبضون عليه، أما عدم خروجه بسرعة وحتى الآن من دبي، فهذا يدل على أنه موجود بها مضطرًّا.

عقَّبت هادية بعد أن أطرقت تفكر قليلاً:

فعلاً!

ودليل ذلك هذا الشخص الذي تقدم إلى البنك بأمر

تحويل الرصيد الموقَّع من خاشقجي، وهو ما يعني أن هذا الرجل هو أحد مختطفي خاشقجي.

سادت فترة من الصمت، راح الجميع خلالها لا يفكرون إلا في أمر اختطاف خاشقجي، فقطع طلال الصمت وهو يقول فجأة في حماس:

اسمعوا..

لقد خطرت لي فكرة.

فلما نظر إليه الجميع في لهفة أردف قائلاً:

إننا نستطيع أن نعرف اسم الشخص الذي قام بتقديم أمر التحويل إلى البنك.

فسأله جاسر في دهشة:

وكيف ذلك؟

فأجاب طلال:

إن البنوك تطلب دائمًا توقيع من يُسلم أمر الدفع

إليها، وتحصل على كافة بياناته، وهذا شرط من شروطها.

فصاحت هادية في حماس شديد، وقد شعرت بأنهم قد توصلوا بذلك إلى نقطة في غاية الأهمية:

لو تمكنّا من معرفة هذا الشخص، لوضعنا بذلك أيدينا على أحد مختطفي خاشقجي.

وعلى الفور، قام حمدي بالاتصال بوكيل النيابة، وأخبره بهذا الأمر.

راح الجميع ينتظرون الإجابة وهم على أحر من الجمر.

وفي اليوم التالي، اتصل وكيل النيابة بحمدي، وأخبره بأن الرجل الذي قام بتقديم أمر التحويل إلى البنك يُدعى وليام خليل شوقي، وهو مصري الجنسية.

ولم يلبث وكيل النيابة أن أخبرهم بعد ساعة أخرى بنبأ آخر، وهو أن وليام خليل هذا قد دخل دبي في نفس

اليوم الذي دخلها فيه خاشقجي، ولكنه لم يخرج منها حتى تاريخه، فصاح حمدي وقد شعر أنه انتصر:

لقد توصلنا بذلك إلى أحد مختطفي خاشقجي!

فأطلق الجميع آهات النصر من فرط الإحساس بوصولهم إلى أول الخيط.

علَّقت لمياء قائلة وهى ترتجف من فرط السعادة:

أمر لا يصدق!

إن كل ما توقعه حمدي كان صحيحًا تمامًا؛ فخاشقجي مُختَطَف بالفعل، وليس مجرمًا!

صار وليام خليل شوقي هو اللغز الذي سيفك شفرة القضية كلها؛ فراح رجال النيابة والمباحث يبذلون أقصى جهدهم لمعرفته، واستطاعوا في بضع ساعات التوصل إلى بياناته من وزارة الداخلية المصرية، والتي تفيد بأنه كان بائعًا للخضراوات، وأنه غير متزوج، ويعيش بمفرده في درب السماكية، التابع لقسم باب الشعرية

بمدينة القاهرة، ولكنه ترك محل إقامته فجأة، ولم يعرف أحد عنه شيئًا بعد ذلك.

كان الأصدقاء الستة لا يتوقفون ولو لساعة واحدة عن التفكير في أن خاشقجي بريء، وأنه مختطف من قبل العصابة.

كان طلبة الكلية لا يكفون عن السؤال عن تطور القضية، ولا يتوقف أحدهم عن السؤال عن إمكانية القبض على خاشقجي وعودة أموالهم إليهم مرة أخري، ولكن السلطات المصرية لم تجبهم بشيء عدا عبارة: "جاري البحث".

وبعد يومين، اتصلت شقيقة وليد من قطر، ولما أخبرها بأن زوجها بريء، وأنه مختطف، راحت في بكاء شديد، ثم قالت لشقيقها فجأة:

لو مات زوجي وهو برئ، فذلك أهون كثيرًا عليَّ وعلى أولاده من أن يكون حيًّا ومجرمًا!

لم يمر على حديث شقيقة وليد سوى ساعة واحدة فقط، وإذا بمكتب وكيل النيابة يتصل بحمدي ويطلب منه الحضور فورًا؛ فتوقع الجميع أن هناك خبرًا جديدًا، وقاموا بمرافقة حمدي إلى مكتب وكيل النيابة، والذي بادرهم قائلاً:

لقد اعترف عضو العصابة التي سطت على محال الصاغة، بأن وليم خليل شوقي هذا أحد أعضاء العصابة.

فأطلق حمدي صيحة تنم عن إحساسه بالتوصل إلى الحقيقة، ولكن وكيل النيابة عقَّب في أسًى:

إن المشكلة التي تحيرنا هي أن العضو الذي تحت أيدينا كان مكلَّفًا بمهمة أخرى، وهي الذهاب إلى تركيا لبيع المجوهرات ذات القيمة الأثرية، ولذلك قال:

إنه لا يعرف شيئًا عن مكان العصابة في دبي.

ثم توقف للحظة، وقد بدت على وجهه علامات الأسى

والحيرة، ثم أردف قائلاً:

وللأسف!

لقد نفي تمامًا وجود شخصية في العصابة باسم عبد الحميد بهنسي.

فلما نظر إليه الأصدقاء جميعًا في دهشة وحيرة، أردف قائلاً:

معنى ذلك أننا سنطلب من سلطات الأمن في دبي البحث عن رجل مختفٍ في أنحاء دبي بأكملها، وهذا أمر في منتهي الصعوبة؛ خاصة أن إمارة دبي إمارة مفتوحة يدخل ويخرج منها يوميًّا الآلاف من الناس.

إلا أنه ما أن غادر الأصدقاء المكان، وعادوا إلى الجلوس بالصالة المفتوحة بمنزل حمدي، إذا بطلال ينقض واقفًا فجأة، وقد بدت عنه عبارة واحدة:

يا خبر!

لا يمكن هذا!

فلما التفت إليه الجميع في دهشة، قال:

اسمعوا..

لقد خطر لي أمر أخشي أن يكون حقيقة؛ لأن سيُعتبر كارثة!

فلما سألته لمياء في لهفة:

ما هو؟!

أجاب طلال وقد ظهر الخوف والتوجس على نبرات صوته، وراح يتفحص وجوه الجميع بنظرات كأنه يستدعي بها عقولهم لمشاركته هذا الأمر الخطير:

عصابة بهذه الخطورة- كما علمنا- وقادرة على سرقة جميع المجوهرات من محال الصاغة، والتي تُقدر بمئات الملايين من الجنيهات، بل وتدبر جريمة اختطاف خاشقجي لاغتصاب عشرة ملايين دولار لتضيفهم إلى حصيلتها، هل يمكن أن يكتفي أفرادها بخطف خاشقجي وأسْرِه فقط؟!

فبدت عن هادية صرخة، وقالت وهي لا تصدق:

ماذا تقول يا طلال!

إن معنى ذلك أنه من المؤكد أنهم قاموا بقتله!!

***

تسمَّر الأصدقاء في أماكنهم لمدة، وقد اعترتهم حالة من الرعب الشديد؛ فالاستنتاج الذي توصل إليه طلال كان بمثابة الكارثة، فعلق جاسر في أسًى شديد:

إن العصابة ستكون حريصة فعلاً على قتل خاشقجي؛ ففي القضاء عليه تكون قد تخلصت من الشخص الوحيد الذي سيعترف عليها، فلماذا تبقي عليه إذًا؟!

وقالت لمياء معقبة:

وستكون أموال بنك الأفكار بأكملها في يد المجرم الذي يُدعى عبد الحميد البهنسي، ولا يستطيع أحد القبض عليه؛ لأنه في عرف السلطات شخصية مجهولة!

فعقب جاسر بدوره قائلاً:

وسنعيش بذلك طوال عمرنا في حسرة وندم على أموالنا الضائعة، بل ولن نستطيع أن نرفع رؤوسنا أمام زملائنا بالكلية وأهاليهم، بل وأهالينا نحن أيضًا إلى

الأبد!

ظل وليد منذ أن سمع بهذا الاحتمال في حالة من الحزن الشديد، ولم تُجْدِ معه محاولات أصدقائه للتسرية عنه، حيث كان كل منهم يتحدث إليه بكلمات وكأنما يعزيه بها في خاشقجي، زوج شقيقته.

مرت بضع دقائق، وإذا بحمدي يصيح فجأة قائلاً:

إن احتمال قتل خاشقجي بعيد جدًّا!

فلما التفت إليه الجميع غير مصدقين ما سمعوا، أردف مفسِّرًا:

لقد غابت عنا في تحليل طلال للموقف نقطة في منتهي الأهمية!

فسألته لمياء في لهفة:

وما هي؟

فقال حمدي:

لو كانت العصابة قتلت خاشقجي لغادر أفرادها جميعًا دبي، ولما انتظر وليام خليل في دبي حتى الآن، فمن شأن القاتل أن يهرب فور ارتكابه لعملية القتل.

راح الجميع يفكرون في هذا التحليل، وشعروا جميعًا بعدها بأن الأمل تجدد في بقاء خاشقجي حيًّا.

ولم يلبث الأصدقاء بعد ذلك أن راحوا يفكرون في لغز عبد الحميد البهنسي هذا، والذي لا توجد شخصية في مصر باسمه، ولم يتعرف عليه عضو العصابة، فتساءلت لمياء في حيرة:

من يكون يا تُرى؟!

وقال حمدي بعد أن فكر في هذا الأمر مليًّا:

ما دامت العصابة التي سطت على محال الصاغة هي التي اختطفت خاشقجي، وأن أموال بنك الأفكار كلها التي وضعت لحساب خاشقجي قد تحولت بالكامل لصالح عبد الحميد البهنسي..

ثم توقف، وأطلق تنهيدة عميقة، وواصل حديثه قائلاً:

فمن المؤكد أن عبد الحميد البهنسي هذا له علاقة كبيرة بالعصابة بأي شكل من الأشكال.

اقتنع الجميع بهذه الملاحظة، وعقّبت هادية مؤكدة:

معنى ذلك أن القبض على أفراد العصابة في دبي، والذين اختطفوا خاشقجي، هم الذين سيدلوننا على حقيقة عبد الحميد البهنسي هذا!

فصاح جاسر مستنكرًا في ضيق وأسًى:

وكيف يقبضون على العصابة في دبي؟!

ألم تسمعوا وكيل النيابة بنفسه يستبعد هذا الأمر؟!

إلا أنه وبعد نصف ساعة فقط، فوجئ الجميع بوكيل النيابة يتصل بهم، ويخبرهم بأنه تم القبض على أفراد العصابة في دبي، واعترفوا بأنهم قد فعلوا ذلك بقيادة زعيمهم والذي يدعى أبو شفة المخذومي، والذي زوَّر جواز سفره تحت اسم عبد الحميد البهنسي؛ حتى لا

تستطيع السلطات المصرية القبض عليه.

وفور علمهم بالخبر نظر الأصدقاء إلى بعضهم البعض وهم في حالة من الذهول التام!!

***

ما أن علم أفراد الأمن في دبي من المخابرات المصرية باسم وليد خليل شوقي، وأنه عضو في عصابة قامت بالسطو على حي الصاغة المعروف في مصر، وسرقت مجوهرات تقدر بمئات الملايين من الجنيهات، واختطفت مواطنًا قطريًّا، حتى راح رجال الأمن في دبي بوضع خطة للقبض على هذه العصابة.

وكان أول ما اتخذته السلطات في دبي، أن حصلت على صورة للمجرم وليام خليل من صورة جواز السفر الذي دخل به دبي، وارتأت الشرطة أنه لا يمكن أن تقوم عصابة باختطاف رجل ووضعه في مسكن من المساكن المأهولة بالسكان، فانحصرت خطتهم في مراقبة الأماكن النائية المنعزلة في دبي.

قامت أجهزة المخابرات بدبي بالبحث في جميع المساكن المفروشة النائية، وبالمنازل الموجودة بالضواحي.

وبعد تكثيف البحث، اتضح أن هناك رجلين يسكنان منزلاً في إحدى هذه الضواحي، وتوصلوا إلى أنه المنزل الوحيد الذي يصلح لإيواء المُختطف. ولم تمر إلا بضع ساعات فقط، وإذا بأحد رجال المباحث يشاهد هذين الرجلين، ووجد أن صورته مطابقة تمامًا لصورة وليام خليل شوقي، فقاموا على الفور بالقبض عليه، وعندما بوغت المتهم برجال المباحث، انتابته حالة من الذهول التام، ولم يلبث أن اعترف بأنه وزميله قد قاما باختطاف مواطن قطري يدعي عدنان خاشقجي، بعدما أقنعاه بأنهما موفدان من إدارة بنك الأفكار بمصر، وأنهما الحارسان المكلفان بحراسته، وقاما باستئجار هذا المنزل، وكان صاحب المنزل الذي أجَّر لهما المكان ووكيله قد شاهداهما مع خاشقجي، ولذلك فقد وجدا أن قتله سيؤدي إلى تعرف هذين الرجلين عليهما، وسيبلغا عنهما السلطات.

انتزع المجرمان منه التوقيع على أمر التحويل

بالإكراه وتحت تهديد السلاح، وقد قاموا بحقنه كل يوم بنوع من السم الذي يؤدي إلى غياب العقل وإلى الإدمان الشديد، ثم ينتهي الأمر بعد فترة وجيزة بالموت البطئ، فيبدوا وكأنه مات مسمومًا إثر تناوله لوجبة مسمومة.

لما علم رجال الأمن بدبي بخطورة الحال على خاشقجي لم يرسلاه إلى مصر، بل أسرعوا بإدخاله إحدى المستشفيات لإنقاذه من الموت البطئ.

وكانت المفاجأة التي أعقبت القبض على المجرِمَيْن، أنهما قد اعترفا بأن "أبو شفة المخزومي" هو رئيس العصابة التي قامت بالسطو على محلات الصاغة بالقاهرة، وقد استطاع تزوير جواز سفر باسم عبد الحميد البهنسي، وفتح لنفسه حسابًا بالبنك في سويسرا، أودع فيه قيمة بيع المجوهرات، وهو نفس الحساب الذي أودع فيه أيضًا العشرة ملايين دولار، بعد إكراه خاشقجي على التوقيع تحت تهديد السلاح.

وجدت النيابة المصرية بذلك أنها قد أصابت

عصفورين بحجر واحد؛ أموال أصحاب محال الصاغة، وأموال

المساهمين ببنك الأفكار، فحوّلت ملف القضية على الفور إلى المحكمة، والتي أصدرت حكمًا عاجلاً بحبس المدعو أبو شفة عبد المنعم المخزومي، والذي زوَّر جواز سفره ليكون باسم عبد الحميد البهنسي، لمدة خمسة عشر عامًا، ومصادرة أمواله.

وعلى الفور، أرسلت السلطات المصرية إلى السلطات السويسرية أصل الحكم للتنفيذ، ولكن البنك السويسري رفض التنفيذ؛ لأن ذلك سيؤدي إلى أن يسحب معظم العملاء أموالهم المودعة في بنوك سويسرا، مما ينجم عنه كارثة للاقتصاد السويسري بأكمله، والذي يعيش على ودائع البنوك.

فصاحت لمياء في حزن شديد:

أمر لا يصدق!

هل تضع علينا أموالنا ويتمتع بها المجرم أبو شفة المخزومي هذا!!

***

راح الأصدقاء الستة في حالة من الحزن الشديد؛ فقد شعروا أن الأمل الوحيد قد انتهي تمامًا، وها هو المجرم يصير حرًّا طليقًا، رغم أنف الدولة نفسها، ويتمتع بأموال أصحاب محال الصاغة في مصر، كما يتمتع بأموال كل الشباب طلاب كلية الصيدلة العربية.

غمغمت لمياء في حزن:

هل يُصدق هذا؟!

إنني لا أصدق أبدًا! مجرم محكوم عليه بالأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عامًا، لا تستطيع دولته مصادرة ما سرقه واستولى عليه من أموال وإعطاءها لأصحابها.

فعقب جاسر قائلاً:

ويُضاف إلى كل هذا، الجهد الذي بذلناه جميعًا للتوصل إلى حقيقة المجرم.

وبعد عدة أيام، عاد خاشقجي من دبي ليمضي عدة أيام للعلاج في إحدى المستشفيات المصرية، فلما سارع الأصدقاء إلى رؤيته، أصيبوا بذهول تام؛ فقد وجدوا أمامهم حطام رجل وكأنه في السبعين من عمره، بالرغم من أنه في منتصف الأربعينات!

ولم يكن خاشقجي يعاني من المرض فقط، بل كان يعاني من يأس شديد، لدرجة أن الأصدقاء الستة، بما فيهم وليد- شقيق زوجته- لم يستطعوا مواساته بكلمة واحدة، فغادروا المستشفى وقد تضاعفت أحزانهم.

وفي اليوم التالي مباشرة، أيقظت والدة حمدي الأصدقاء جميعًا، وبادرتهم قائلة وهي تحمل عدة نسخ من الجرائد اليومية الثلاث:

انظروا!

أسرع الجميع إلى نسخ الجرائد الثلاث، وما أن ألقوا نظرة سريعة عليها، حتى صاح جاسر وهو لا يصدق:

غير معقول!

مطلوب القبض على الإرهابي عبد الحميد البهنسي الذي يتزعم مجموعة من الإرهابيين!

فسألت لمياء وهي لا تصدق:

يا الله! كيف يتحول عبد الحميد البهنسي إلى إرهابي وزعيم لمجموعة من الإرهابيين! إنني لا أصدق ذلك!

وبعد مرورعدة أيام، اتصل وكيل النيابة بالأصدقاء، وقد كانت نبرات صوته تشي بالسعادة التامة، والتي لم يستطع مداراتها، وهو يبادر حمدي قائلاً:

مبروك! لقد تم القبض على عبد الحميد البهنسي المزيف، والذي هو في الحقيقة أبو شفة المخزومي، بتهمة الإرهاب، ولقد صادرت السلطات السويسرية أمواله بالكامل التي أودعها بالبنك السويسري؛ وبذلك نستطيع أن نرد إلى أصحاب محال الصاغة ومساهمي بنك الأفكار أموالهم.

فكاد الأصدقاء يتجمدون من شدة الفرحة، وظلوا في حالة من الصمت والذهول لمدة طويلة، وفي صباح اليوم التالي سألت لمياء وكيل النيابة في لهفة:

ولكن، كيف توصلتم إلى أن عبد الحميد البهنسي هذا متهم بالإرهاب؟!

ففوجئ الجميع بوكيل النيابة يطلق ضحكة عالية، وأجاب قائلاً:

هذه خدعة أقنعنا بها السلطات السويسرية، لأن ذلك كان المبرر الوحيد للقبض على أبو شفة؛ حيث يُمنع أي إرهابي من إيداع أمواله في بنوك سويسرا!